الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

الدور العلمي للمرأة في بلاد الشام خلال القرن 7 هـ / 13 م

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تاريخ وسيط

إعداد الطالبتين :

زكية كشاد
أحلام زوبيري

إشراف الأستاذة :

فريدة شيخي

السنة الجامعية :

1436 هـ ــ 1437 هـ / 2015م ــ 2016م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية

الدور العلمي للمرأة في بلاد الشام خلال القرن 7 هـ / 13 م

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تاريخ وسيط

إعداد الطالبتين :

زكية كشاد
أحلام زوبيري

إشراف الأستاذة :

فريدة شيخي

لجنـــة المنـــاقشـــة

الأستاذة فاطمة الزهراء مالكي	**رئيسا**
الأستاذ بخيتي محمد.....	**مناقشا**
الأستاذة فريدة شيخي	**مشرفا**

السنة الجامعية :

1436 هـ ــ 1437 هـ / 2015 ــ 2016



شكـــــــــــــر و عرفـــــــــــــان

الشكر والحمد لله أولاً، الحمد لله الذي بلّغنا مرادنا، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

كما نحمده سبحانه وتعالى أن أمدنا القوة والصبر على إتمام هذا العمل الذي نأمل أن يكون في ميزان حسناتنا

ثمّ الشكر الجزيل إلى الوالدان اللذان سهرا من أجل راحتنا، وحزنا لإسعادنا

كما نتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذتنا المشرفة"فريدة شيخي"التي لم تدخر جهداً في توجيهنا وإرشادنا

إلى كل أساتذة التاريخ ونخص بالذكر الدكتور "بوسعد الطيّب"

والى كل عمّال "الإقامة الجامعية زرواق" على حسن معاملتهم لنا

كما لا ننسى الشكر إلى كل طلبة التاريخ،ماستر الدفعة 2

كما نشكر كل من مدّ لنا يد العون والمساعدة ولو بكلمة طيبة

فجـــــــــــــزاهم الله عنّا كلّ خيـــــــــــــــــــــــــــر

زكيـــــــــــة وأحـــــــــــــلام

الإهـــــــــــــداء

تذبل الورود وتزهر وتختفي الشمس وتظهر وتبقى غلاوتها ولا تفنى العزيزة الغالية التي غمرتني بحنانها وزودتني بعطفها وكرست لي وقتها وجهدها فهي صديقة طفولتي ومراهقتي، ومتحملة شقاوتي أمي الغالية"لمّاني فتيـــــــــــحة"، فاجعلها يارب سيدة من سيدات أهل الجنّة

إلى الذي أوقد حياته سراجًا أضاء ليالينا، إلى الذي زرع فينا حبّ الخير إلى من يحتاجنا ويناديا الغالي الحبيب كلماته كدواء الطبيب دام من قلبي قريب، فتقف كلمات الشكر والعرفان عاجزة أمام عطائه أبي العزيز "العيـــــــــد"

إلى روح أخي الطاهرة أسكنه الله فسيح جنّاته" فـــــــارس" رحمه الله

إلى الذين تعجز الكلمات عن وصفهم فهم التيجان الذين أفخر بهم إخوتي: قادة، محمد، بوبكر

إلى اللاتي هنّ الحب والأمل دررري للمكنونات أخواتي: آمال وزوجها رابح، سلمى، رشا، مروة

إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالعطاء والوفاء أبناء عمّي كمال ، يحي، نوّار، أحمد،عيسى، نورة

إلى من احتلت في قلبي مكانة الصديقة والأخت "مباركة" إلى من كان صديقي وسندي "عبد الصمد"

إلى البراءة التي ملئت البيت بهجة وسرورًا منار، زاكي، لينا، ريان

إلى من عرفت كيف أجدهنّ وعلموني أن لا أضيعهنّ توأم روحي سعيدة ومديحه

إلى الأخوات اللاتي لم تلدهنّ أمي فهنّ ينابيع الصدق الصافي فكنّ معي وقت أفراحي وأحزاني سامية ورشيدة وأسماء وفتيحة وفطيمة وجميلة وحسينة ونورة وسعيدة وفاطمة الزهراء وإسماعيل

إلى من شاركتني هذا العمل صديقتي ورفيقتي زكية

إلى من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مُذكرتي إلى كل هؤلاء تحية سلام وعربون محبة

أحـــــــلام

الإهـــــــــــــــداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال الله عزّ وجل فيهما:«فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريما واخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة وقل ربيّ ارحمهما كما ربياني صغيرًا » "صدق الله العظيم"

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من هي في الصبح بسمتي وفي العين دمعتي ولمن هي في القلب بهجتي وسر سعادتي، إلى من هي في الظلام شمعتي، وإلى من إذا غبت عنها بدعواتها كللتني، إلى التي علمتني أنّ الصبر مفتاح الصعاب، إلى ألام الغالية على قلبي"مسعـــــــودة مجـــاوري"

إلى من لم يبخل عليّ بدعواته وسهر وتعب ليراني طالبة علم إذ كانت دعواته تحفظني وتكشف عني الهم والحزن، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار إلى أبي الغالي "محمـــــــد"

إلى سندي وعصا ارتكازي إخوتي الأعزاء: وليد وزكريا اللذان لم يبخلا عليّ يومًا بدعمهما والى أخي الرّشيد

إلى أخواتي مليكه و خليدة وفاطمة و مليكة وإلى أولادهم وإلى أصغر برعم في العائلة "نوح"

إلى من أكثرت عليّ بالدّعاء بالنجاح جدتي الغالية "عائشة"

إلى صديقاتي: عائشة وسارة ونورة والغالية على قلبي خديجة ، ورشيدة

إلى من ضقت معهنّ حلاوة الحياة وتقاسمنّ مرها : الأخت الحنونة سامية ومديحه ومباركة ، كما لا أنسى فتيحة وأسماء وجميلة وفطيمة وحسينة ونورة وسعيدة

وإلى الصديقة الغالية التي شاركتني صعاب هذا العمل حتى أشرفنا على نهايته أحلام

إلى كل من يعرفني من بعيد أو من قريب أو حتّى ذكر اسمي أهدي له هذا العمل،

إلى كل من دعا لي في ظهر الغيب.

"زكيـــــــــــة"

قائمة المختصرات :

الرمز	الدلالة
م	ميلادي
هـ	هجري
مج	مجلد
مر	مراجعة
تق	تقديم
تح	تحقيق
تع	تعليق
تر	ترجمة
د ب	دون بلد
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ الطبع
ج	الجزء
ص	الصفحة
ع	العدد

مـقـدمـة

مقدمـــــــــــة:

شهدت بلاد الشّام بداية من القرن 7هـ/ 13م حركة علمية نسوية نشطة، ساهمت فيها عالمات من مختلف الطوائف المذهبية من بينّهنّ حنبليّات كثيرات، ودمشقيات ومقدسيّات كان لهنّ دور فعّال في تنشيط الحياة العلمية عامةً والنسوية خاصة ومعظمهن ينتسبنّ إلى أسر عريقة في العلم، وبهذا لعبت المرأة دورًا هامًا في إنشاء العديد من المؤسسات التعليمية الإسلامية، واستمرّ ذلك طيلة الفترة الزمنية الممتدة من القرن 6هإلى7هـ / 12م-13م حيث تمّ تمويل هذه المؤسسات من النّساء عن طريق الوقف الخيري، ونتيجة لذلك برزت فرص لتعليم الإناث في العالم الإسلامي، فوفقًا للفقيه السني بن عساكر«ت571هـ/1175م» "قد كان بإمكان المرأة أن تدرس وتحصل على الإجازة ،وهي درجة علمية وأن توصف بأنّها فقيهة ومعلّمة" وكان الوضع هكذا بالنسبة لأبناء العائلات التي تحظى بقدر كبير من التعليم كأبناء الفقهاء، حيث كانوا يريدون أن يضمنوا أعلى مستويات التعليم لأبنائهم من البنين والبنات، ويذكر بن عساكر أنّه نفسه قد درس على يد "ثمانين امرأة" في زمانه .

التعريف بالموضوع :

يتناول موضوع بحثنا دور المرأة العلمي في بلاد الشّام خلال القرن 7هـ /13م ونعني بذلك مكانة المرأة العلمية ومساهماتها وإنجازاتها، حيث شهدت بلاد الشّام في هذه الفترة حركة علمية نسوية نشيطة أردنا تبيانها من خلال دراستنا هاته.

دواعي اختيار الموضوع :

تعود أسباب اختيارنا لهذا الموضوع إلى الميل لدراسة دور المرأة العلمي في المشرق الإسلامي عامة وبلاد الشام خاصة، لما سادها من ازدهار الحياة العلمية في هذه الفترة، وبيان أهمية بلاد الشّام بوصفها موقعًا استراتيجيًا مهمًا، وحوض تصب فيه مختلف روافد ديار الإسلام حضاريًا واجتماعياً وعلميًا، والتعرف على إسهامات المرأة العلمية التي مست الجوانب الأخرى.

-أهمية الدّراسة:

تقديم صورة واضحة عن المرأة من خلال العلم والتعلم والمراكز المتعددة التي أنشأتها وأهميتها من خلال تخريجها للعديد من الفقهاء والعلماء والشيوخ بالإضافة إلى المؤلفات، وبيان مكانة المرأة ومدى عنايتها بالعلم والعلماء.

-الإشكالية:

جاء موضوع بحثنا هذا ليعالج الجوانب السابقة انطلاقًا من التساؤلات التالية:

ما هو الدّور العلمي الذي لعبته المرأة في بلاد الشّام؟ ولماذا وكيف ساهمت المرأة في تحصيل العلوم؟ ومن هم أشهر العلماء الذين تتلمذوا على يد هؤلاء النّسوة؟ وما مدى تأثيرهن في الحياة العامة لبلاد الشّام؟

-الدّراسات السابقة للموضوع:

إنّ هذا الموضوع الذي بين أيدينا والذي يبحث في الدّور العلمي للمرأة في بلاد الشّام، قد سبقنا إليه الكثير من الدّارسين لهذه المنطقة سواءً فيما يتعلق بالحركة العلمية والذي لقي اهتمامًا ودراسة، أمّا فيما يتعلق بتخصيص الجانب العلمي للمرأة فلم يلقا اهتمامًا ودراسةً إلاّ بقلّة .

فقد تطرق الدكتور **عبد المنعم محمد كندو** في رسالته لنيل شهادة الدكتوراه **بعنوان "الحياة العلمية في بلاد الشّام خلال القرنين 7هـ-8هـ/13م-14م"** حيث ذكر مكانة العلم عند المسلمين، ومكانة بلاد الشّام وما شهدته من تطور وازدهار ورقيّ وكثرة في العلماء فيها وتعدد مواهبهم ومؤلفاتهم، وكذا ما جاء به أيضًا **خالد علاّل الكبير** في رسالته لنيل الدّكتوراه بعنوان "**الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق خلال القرنين 6هـ-7هـ/12م-13م**" فذكر الحنابلة وتنشيطهم للحركة العلمية في بلاد المشرق الإسلامي، بالإضافة إلى مذكرة أستاذتنا المشرفة **فريدة شيخي** لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط بعنوان "**مساهمة أسرة المقادسة في الحياة**

العلمية بدمشق خلال القرنين 6هـ-7هـ/12م-13م"حيث تحدّثت عن إسهامات المرأة المقدسية في دمشق خلال هذه الفترة.

-المنهج المتبع في الدّراسة:

اتبعنا في بحثنا هذا **المنهج الوصفي** حيث قمنا بجمع ما تيسر لنا من المعلومات التاريخية المتعلقة بدور المرأة العلمي، كما وصفنا منطقة الشّام وخصائصها الجغرافية، بالإضافة إلى أنّنا اتبعنا **المنهج الإحصائي** وذلك بإحصاء عدد من العالمات الشّاميات ومصنفاتهنّ وأبرز شيوخهنّ وتلامذتهنّ، وكذا بنائهنّ للمراكز العلمية .

-الخطّة المتبعة في الدّراسة:

قسمنا بحثنا هذا إلى مقدّمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة

-أمّا المقدّمة: فقد تضمنت عنوان الموضوع مع تحديد الإطار الزماني والمكاني ثمّ عرّفنا بالموضوع وذكرنا دوافع اختيار الموضوع ثمّ بيّنا أهميته وكذا طرح الإشكالية والتطرق إلى الدّراسات السابقة للموضوع وبعدها المنهج المتبع في الدّراسة مع تحليل موجز لأهمّ المصادر والمراجع المعتمد عليها في البحث .

-والفصل التمهيدي: الذي كان بعنوان الأوضاع العامة في بلاد الشّام خلال النصف الثاني من القرن السادس هجري الموافق للقرن الثاني عشر ميلادي ،تطرقنا فيه إلى الحياة السياسية السائدة في بلاد الشّام خلال تلك الفترة وإلى الجوانب الأخرى كالاقتصادية والاجتماعية والعلمية خاصة .

-أمّا المبحث الأول:فجاء بعنوان التعريف بإقليم الشّام خلال القرن 7هـ/13م، تطرقنا فيه إلى الموقع الجغرافي للشّام وأهميته، وإلى الخريطة السياسية للشام في هذه الفترة حيث كانت الأوضاع غير مستقرّة وذلك يعود إلى زمن الحروب الصليبية وتأثيراتها .

–أمّا المبحث الثاني:فخصصناه لإسهامات المرأة ومشاركتها في الحياة العلمية ولا سيما فيما يتعلّق بالعلوم الدّينية ومنها علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف بالإضافة إلى إنشاءها للعديد من المراكز العلمية عن طريق الوقف الخيري والتدريس من خلال حلقات العلم سواء التي كانت تُقام في المساجد والجوامع أو في بيوتهنّ، كما تطرقنا في هذا المبحث كذلك إلى بعض الآثار الفكرية الخاصة بالمرأة الشامية في هذه الفترة.

–أمّا المبحث الثالث:فقد خُصص لدور المرأة في المجال السياسيي إذ تقلدت المراة بعض المناصب العليا في الدولة كالحكم والقضاء وكذا دورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حيث قامت بمساعدة الرجل في أعمال تخص الزراعة والصناعة والتجارة إضافةً إلى الوعظ والإرشاد والبّر والإحسان والصدقات حيث لعب الوقف دورًا هامًا في هذا الجانب وكذا المصاهرة التي كانت بين المغول والنّساء الشّاميات وبذلك دخل الإسلام بين المغولي، أمّا الحياة العلمية التي كان لها النّصيب الوافر في هذا المبحث فبرعت المرأة وأصبحت تُسمى فقيهة وعالمة ومحدّثة وقد أجازت للعديد من العلماء والفقهاء والشيوخ.

– أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدنا في إنجاز بحثنا هذا على جملة من المصادر والمراجع التي تناولت الموضوع بصورة مباشرة أو جزئية ونذكر بعضها فيما يلي:

–كتاب المعجم المؤسس للمعجم المفهرس للحافظ بن حجر العسقلاني «ت852هـ/1448م»وهو عبارة عن مشيخة للحافظ حيث ذكر فيه أبرز شيوخه وأفادنا في ذكر العديد من الأعيان من النّساء العالمات وشيوخهنّ، أمّا كتابه "الدرر الكامنة في أخبار المائة الثامنة" لم نستعمله كثيرًا وذلك بحكم الفترة التي ترجم فيها (القرن 8هـ) .

–كتاب "**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**" للمؤرخ شهاب الدّين أبي الفلاح بن العماد والحنبلي «ت708هـ/1678م» حيث ذكر فيه الوفيات وابتدأها بالسنين من القرن الأول حتّى القرن السابع هجري.

-كتاب **معجم الشيوخ وتاريخ الإسلام** للحافظ شمس الدّين محمد من أحمد بن عثمان الذهبي «ت748هـ/1348م» حيث ترجم العديد من الأعيان والعلماء من القرن الأول إلى القرن السابع جاءت فيه مادة علمية وفيرة أفادتنا في دراستنا .

-وكتاب **الدّارس في تاريخ المدارس** لعبد القادر النعيمي «ت927هـ/1520م»حيث تحدث عن المؤسسات والمراكز العلمية في الشّام من خلال المدارس والمساجد العلمية التي أنشأتها المرأة في الشّام .

-أما المراجع التي تناولناها فقد خدمتنا كثيرًا، محمد محمود الحويري في "**الأوضاع الحضارية في بلاد الشّام في القرنين «12م-13م"**» ونبيلة إبراهيم مقامي "**فرقة الرهبان والفرسان في بلاد الشّام في القرنين «12م-13م"»** ونقولا زيادة "**دمشق في عصر المماليك**" ، وغيرها من المراجع الأخرى،

-صعوبات الدّراسة:

ومن الصعوبات التي واجهتنا في دراستنا لهذا الموضوع ضيق الوقت إذ لم تتعدّى الفترة الأربعة أشهر وهذه المدّة غير كافية لانجاز مذكرة لنيل شهادة الماستر.

وعلى الرغم من غزارة المادة العلمية في بعض الجوانب كالجانب العلمي إلا أننا وجدنا قلّة ونُدرة في جوانب أخرى كالجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمرأة فقد كانت المعلومات قليلة فلا نجد إلاّ إشارات عابرة في الكتب فعملنا على الاستفادة منها.

كما وجدنا صعوبة في تنسيق المعلومات، خاصة وأنّ هذه المعلومات هي عبارة عن تراجم لعالمات شاميّات قضينّ حياتهنّ في العلم، فأحيانًا لا نحصل على تاريخ وفاتهنّ في أمهات الكتب إذ تكتفي بذكر أسمائهنّ فقط.

كذلك صعوبة الحصول على المصادر المتصفحة وذلك لقيمتها العلمية وندرتها، وبالتالي لجأنا إلى أسلوب التحميل من الشبكة والقراءة على الجهاز وهذا ما أرهقنا كثيرًا في بحثنا.

أمّا عن التردد على المكتبات فلم يُغننا كثيرًا، خاصةً وأنّ المكتبة الجامعية فقيرة جدًا من المصادر التي تخص البحث بالاظافة إلى أنّ موضوعنا يتطلب ترجمة لكل الأعلام بتاريخ الوفاة والميلاد وهذا ما زادنا تعبًا، وبهذا تكون دراستنا شاملة لكل جوانب الحياة المرأة في بلاد الشّام .

التمهيد

الأوضاع العامة لبلاد الشّام خلال النصف الثاني من القرن السادس هجري (550هـ-599هـ/1155م-1202م)

1):الأوضاع السياسية والدينية.

أ- سياسيا:

كانت بلاد الشّام خلال النصف الثاني من القرن 6ه / 12م، مهدّدة بالهجمات الصليبية حيث أنّ الإفرنج كانوا قد بلغوا من القوة و النفوذ درجة كبيرة، وكان صلاح الدّين الأيوبي[1] الزعيم العسكري لبلاد الشّام ومخلصها من هذه الهجمات[2].

لكن قبل التطرق إلى هذه الانتصارات والمواجهات السياسية والعسكرية للدولة الأيوبية في بلاد الشّام مع الفرنجة، إذ تنسب هذه الدولة إلى صلاح الدّين يوسف بن نجم الدّين أيوب بن شاذي وقد اختلف المؤرخون حول أصلها فهناك من نسب أسرة صلاح الدّين إلى الأكراد[3] من بلدة "دوين[4]"وهذه المنطقة تكون بالقرب أو [5].

على مقربة من" أذربيجان"،[6]وهي من المدن الإيرانية.[7] وبعضهم يقول أنّ صلاح الدّين من أسرة عربية الأصل نزلت عند الأكراد ويرى أحمد مختار العبادي أنهم كانوا أكرادًا بأصلهم ونسبهم ،ولكنهم في الواقع كانوا عربًا بثقافاتهم وتربيتهم ونشأتهم فكانت عربية إسلامية وامتزجوا بها[8] .

---

[1] صلاح الدّين الأيوبي: المؤسس الحقيقي للدولة الأيوبية في مصر حيث تتفق أغلب المصادر على أنّه من أصل كردي (انظر كتاب عبد المنعم منجد، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، د ط، دار الفكر العربي، د ب، 1418ه-1997م، ص 75).

[2] قاسم عبده قاسم وآخرون، الأيوبيون والمماليك التاريخ السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ب، د ط، د ت، ص20-21 .

[3] الأكراد: جمع كرد وهي تعني الذئب وبذلك تدل على طبيعة بلاد الأكراد الجبلية (انظر كتاب عبد المنعم منجد، المرجع السابق، ص75).

[4] دوين: بلدة من نواحي أران في آخر حدود أذربيجان(أنظر كتاب ياقوت الحموي، دار صادر بيروت،د ط، 1397ه-1977م، م 2 ، ص 491)

[5] حمدي عبد المنعم محمد حسين، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية،د ط، د ب، د ت، ص 7

[6] أذربيجان: مسماة بأذربجان بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح عليه السلام وحد أذربيجان من بردغة شرقًا إلى أرزنجان مغربًا، ويتصل حدّها من جهة الشمال ببلاد الدّيلم،(انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق،م 1، ص128).

[7] حمدي عبد المنعم محمد حسين، المرجع السابق، ص 7

[8] أحمد مختار العبّادي،في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية،د ط،د ب، 1995م، ص 42-94 .

إنّ الدولة الأيوبية في عصر السلطان صلاح الدّين قد مرّت بحالة من الاستقرار السياسي داخل مدينة دمشق، كان له الأثر الإيجابي على الحركة العلمية إذ يعد هذا الاستقرار مطلبًا مهمًا في تطور الحركة العلمية وتقدّمها، ولا شكّ أنّ هذا العصر(الأيوبي) يعد العصر الذهبي لمدينة دمشق حيث مرت بأزهى عصورها، وشهدت خلاله نهضة علمية كبيرة ، وتأسست فيه أكثر أماكن التعليم وخصوصًا مدارس الحديث والمدارس الفقهية التي زاد عددها وكثرت أوقافها، وقصدها طلاب العلم من أرجاء العالم الإسلامي [1].

وبعد وفاة السلطان صلاح الدّين لم تستقر الأوضاع السياسية في ظل الصراع بين أبناء البيت الأيوبي[2]، وقد أصابها التفكك بسبب المنازعات الداخلية وتطبيق مبدأ اعتبار المملكة إرثًا خاصًا تقسّم أنصبه متساوية وغير متساوية بين أبناء البيت المالك[3].

ونلاحظ أنّ الدولة الأيوبية قامت متأثرة بالدولة السلجوقية التركية ومماليكها ونقلت عنها الكثير من عاداتها وأنظمتها التركية المشرقية على يد الناصر صلاح الدّين سنة (567هـ/1181م) .

و امتدّ وجود الصليبين في بلاد الشّام زهاء قرنين من الزمن[4]، وقد كان المجتمع الإفرنجي[5] بمثابة أقلية أجنبية حاكمة يخضع لها الأغلبية من سكان منطقة المشرق العربي، واحتفظ هذا المجتمع بوجوده وبنمط حياته وذلك عن طريق تدفق أعداد كبيرة من الحجّاج والمستوطنين الأوروبيين، خلال القرن (6هـ/12م)[6].

---

[1] ناصر محمد علي، الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف مريزن سعيد مريزن عسيري،1421هـ ، ج 1، ص3.

[2] المرجع نفسه، ص 3 .

[3] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 69 .

[4] محمود إبراهيم،حطّين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها، دار البشير عمّان،ط 1، (1407هـ/1987 م) ،ص 11.

[5] الإفرنج: وهم من ولد نافث من ولد نوح ومملكتهم واسعة كبيرة ، بلغت أربع عشر قبيلة وفيهم نصارى ومجوس وزنادقة (انظر كتاب المسعودي أخبار الزمان، دار الأندلس بيروت، ط 1، (1416هـ /1996م) ص 96 .

[6] يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين مملكة بيت المقدس اللاتينية، عين الدراسات والبحوث الإنسانية،د ب،ط 1، 2001م، ص83

وكان عهد الملك نور الدّين محمود [1]على دمشق عام (549هـ/1154م) زيادة قوة المسلمين [2].

لقد فشل الصليبين والبيزنطيين في إجراء مفاوضات مع صلاح الدّين بعد أن تعرضت أنّ الممتلكات الصليبية بالشّام لهجمات نور الدّين، فلم يسع القوتان المتحالفتان إلى الانسحاب في ديسمبر (565هـ/1169م)، وهكذا فشل التحالف البيزنطي الصليبي [3].

وقد استطاع المسلمون من تكوين جبهة أسلامية متحدة وقد غرس بذورها عماد الدّين زنكي ورعاها ابنه(نور الدّين محمود) فتحقق له ضم بلاد الشّام، وكان يأمل أن تكتمل هذه الجبهة بضم مصر لتكتمل له القوى الضاربة التي يواجه بها الصليبيين وسوف يتم هذا العمل على يد صلاح الدّين يوسف بن أيوب عندما تساعده الظروف السياسية التي دفعت به للمجيء إلى مصر في إقامة دولة أيوبية تتولّى إعلان حركة الجهاد، ضدّ الصليبيين ذلك الجهاد الذي أصبح من أهم الدعائم التي قامت عليها دولته في مصر والشّام ويتمكن من خلالها استرداد بيت المقدس[4] من أيدي هؤلاء الفرنجة[5].

على الرغم من أنّ دولة سلاطين المماليك(648هـ-922هـ/1250م- 1517م) ورثت ممتلكات دولة الأيوبيين ومسؤولياتها السياسية والعسكرية، فإنّ المتأمل في الدولتين يشعر بحق أنّهما جاءتا استجابةً سياسية وعسكرية لظروف العالم الإسلامي عامة والمنطقة العربية منه خاصة، ومن المثير حقًا أنّ دولة الأيوبيين انتهت، وقامت على أنقاضها دولة المماليك ، فقد فشل الأيوبيين الأواخر في استكمال الدور التاريخي الذي أفرز دولتهم[6] .

---

[1] نور الدّين محمود : بن عماد الدّين زنكي تولّى إمارة حلب ثمّ اتسعت سلطته حتّى شملت بلاد الشّام والجزيرة ومصر والحجاز واليمن، كان محبًا للجهاد (انظر كتاب عبد الله الحميدي، التاريخ الإسلامي مواقف عبر، د ب، د ط، (1425هـ /2004م) ص 141).

[2] محمود محمد الحويري، الأوضاع الحضارية في بلاد الشّام في القرنين (12م/13م)، دار المعارف،دب، د ط، 1979م، ص21 .

[3] زبيدة محمد عطا، الشرق الإسلامي والدولة البيزنطية زمن الأيوبيين، دار الأمين، د ب، ط 2، (1414هـ /1994م) ص 66.

[4] بيت المقدس: يقال أنّ داوود عليه السلام بناه وأتمه سليمان بعد وفاة أبيه والمجوس تزعم أنّ الذي بناه الضحاك وأنه سيكون في المستقبل من الزمان خطب طويل ،(انظر كتاب المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر، مر، كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت،ط 1، 1425هـ/2005م، ج 2، ص 187.)

[5] أحمد الشامي ، صلاح الدّين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية، مكتبة النهضة العربية القاهرة، ط 1، 1991، ص55- 56.

[6] قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ب، ط 1، 1998م، ص 11-12.

وبدلاً من اهتمامهم بالجهاد ضدّ العدو الفر نجي، و وجهوا طاقاتهم وقدراتهم السياسية و العسكرية للاقتتال فيما بينهم ، وبهذا تعيّن على سلاطين المماليك مواجهة خطر مزدوج من جانب ساداتهم السابقين من بني أيوب ومن الفرنجة والغرب الأوربي المتربص بالعالم[1] .

ولقد اشتعلت الحروب الداخلية بين ملوك الأيوبيين بالشكل الذي أغرى القوى الفرنجية الصليبية بالتدخل لصالح فريق ضد فريق وتجمعت القوى الأيوبية المتناثرة في بلاد الشّام في حلف بائس مع الصليبيين .[2]

ب– دينيًا:

كانت ببلاد الشّام فتن ومنازعات كبيرة عاشها المجتمع الشامي متأثرًا بالفرق الإسلامية التي يعود زمنها إلى الفتنة الكبرى هذا ما أدى إلى ظهور طوائف كثيرة كانت سببًا في إزدياد هذه الفتن وتغلغلها في بلاد الشّام .

لقد كان لظهور الشيعة[3] صراع عنيف بينها وبين السنّة[4]، وبذلك ظهرت ثورات كثيرة خاصةً وأنّ الشّيعة كانت تتمركز في الجهة الشّمالية لشّام لاسيما حلب ، ويمكن أن نرجع هذا الصراع والنزاع إلى زمن الخلافة العباسية السنية في بغداد والخلافة الفاطمية الشيعية بالقاهرة، ونجد أنّه حتّى الشّيعة في حدّ ذاتها انقسمت إلى العديد من الطوائف مثل الطائفة الإسماعيلية وغيرها[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص 12 .

[2] قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 11–12.

[3] الشيعة: شاع استعمالها عند اختلاف معاوية مع علي رضي الله عنه وانقسمت عنها عدة فرق (أنظر كتاب إحسان إلهي، ظهير الشّيعة و التشيع، دار السلام، د ب، ط 10، 1415هـ –1995م، ص 13).

[4] السنة: فهي في اللغة الطريقة، في الاصطلاح أقوال النبي صلى الله عليه وسلّم وأفعاله وتقريرا ته وصفاته الخَلقية والخُلقية، وزاد بعضهم أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم (انظر كتاب محمد بن محمد أبو شهبه، أعلام المحدثين، دار الكتاب العربي مصر، د ط، د ت، ص 6).

[5] محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص 30 .

أمّا عن الطائفة الإسماعيلية[1] فقد ضاقت ذرعًا بالأمر الذي أصدره نور الدّين محمود عام (543هـ /1175م) بإبطال **حيّ على خير العمل**، ولم تستطع القيام بعمل مضاد، وفي عام (571هـ / 1175م) وثبَ باطني في زيّ جندي على صلاح الدّين خلال حصاره، فضربه بسكين فجرحه [2].

ولذا كان صلاح الدّين الأيوبي قد فشل في إخضاع الطائفة الإسماعيلية والقضاء عليها فإنّ النّهاية كانت على يد الظاهر بيبرس[3]، حيث كان في البداية قد منعهم من دفع الجزية [4].

ونجد أنّ الباطنية[5] في عدائها الشديد لأهل السنّة تقربت إلى الصليبيين بالشّام ضدّ الأيوبيين ثمّ المماليك، كذلك دأبت القوى الصليبية في الشّام على إرسال الهدايا إلى الباطنية انتقاءًا لشرهم [6].

فالطائفة الشّيعية اعتبرت أنّ القرآن والحديث كما فسّرها الأئمة كان إرشادًا كافيًا منذ القرن (7هـ/13م)كانوا يتوجهون لرجال العلم الذين كانوا قادرين بثقافاتهم وشخصياتهم وتعليمهم على تفسير الموروث والاجتهاد،أمّا الجماعة العربية الحاكمة فقد جاءت في خضمّ الثقافة الرفيعة في المشرق[7]

إضافة إلى هذه الطوائف هناك طوائف أخرى كانت في صراع مع المذاهب السنية لتحتفظ ببقائها ، كالطائفة الرافضة [8]والإمامية [9] ، و هما من الفرق الشيعية[10] .

---

[1] الإسماعيلية: وهي تنسب إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق وهو الابن الأكبر (انظر كتاب الشهرستاني، الملل والنحل، تح، أمير علي مهنا، دار المعرفة بيروت لبنان، ط 1، 1414هـ- 1993م ، م 1، ص 226) .

[2] محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص 34-35 .

[3] الظاهر بيبرس:وهو قاهر التتار حكم في الفترة (659هـ-676هـ /1260م-1277م)(الحويري،المرجع نفسه، ص 110).

[4] محمد محمود الحويري، المرجع نفسه، ص 36 .

[5] الباطنية: سمّوا بهذا الاسم لحكم أنّ لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل ولهم فرق كثيرة مثل القرامطة والمزدكية (نظر كتاب الشهرستاني، المصدر السابق، ص 228- 230) .

[6] محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص 34-35 .

[7] ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية، تر نبيل صلاح الدّين، الهيئة المصرية العامة، د ب، د ط، 1997م، ج 1، ص 234.

[8] الرافضة هم الشيعة الرّافضون لإمامة أبي بكر وعمر وقيل لأنّه رفضوا الدّين (أنظر كتاب عبد المنعم الحفني، الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرّشاد، د ب، ط 1، 1413هـ /1993م، ص 228) .

[9] الإمامية: هم الشيعة القائلون بالإمام المعصوم على بعد النبي صلى الله عليه وسلم نصًا وتعيينًا من النبي صلى الله عليه وسلم نفسه(انظر كتاب عبد المنعم الحفني، المرجع نفسه، ص 236.) .

[10] عمر موسى باشا، الأدب في بلاد الشّام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، المكتبة العبّاسية دمشق، ط2، د ت، ص 89.

كالزيدية[1] حيث كانت منتشرة في بلاد الشّام منذ عهود الإسلام الأولى[2].

ويمكن القول أنّه من الأسباب التي جعلت انقسام وظهور هذه الطوائف هي الطبيعة الجغرافية للشّام، فتضاريسه من جبال وسهول وأودية ساعدت على قيام طوائف دينية من منعزلة ومستقلّة [3].

وعلى العموم كانت بلاد الشّام في هذه الفترة تعجّ بالفرق والطوائف الدينية التي كان لها تأثير واضح في الحياة السياسية والدينية، من خلال زرع الفتن والبلبلة في أوساط المجتمع الشّامي، إضافة إلى التفرقة التي كانت في هذه الفرق في حدّ ذاتها حيث شكلّت صراع دائم مع السلطة .

2)- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية

أ –اجتماعيا:

انتشرت الصوفية في بلاد الشّام في هذه الفترة، حيث يصف لنا ابن جبير[4] في رحلته إلى الشّام في عهد صلاح الدين في (6ه/12م) فوصفهم بقوله: «وهذه الطائفة الصوفية هم الملوك بهذه البلاد لأنّهم .....وأسكنهم في قصورٍ تذكرهم بقصور الجنان، وقد نعتهم "النّحاس" بالفقراء إما لأنّ الفقر أبتهم،

وإما لأنّهم زهدوا في هذه القصور التي يعيشون فيها »، يضاف إلى ذلك أنّ فقراء المتصوفة في بلاد الشّام نشروها في الحشيش بين النّاس وقد تبعه من مفاسد اجتماعية في البلاد فأصدر أمراً في كل الأقاليم بهدم المواخير والحانات وحرق الحشيش [5].

---

[1] الزيدية: فرقة من الشيعة نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولا يقول الزيدية بعصمة الإمام كباقي الشّيعة (انظر كتاب عبد المنعم الحفني، المرجع السابق، ص 66) .

[2] عمر موسى باشا، المرجع السابق، ص89.

[3] محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص 46.

[4] ابن جبير: (539ه-614ه/1144م-1217م) هو أبو الحسين محمد ابن أحمد ابن جبير الكناني الأندلسي، الشّاطبي البلنسي، ولد في بلنسيا كان من علماء الأندلس في الفقه والحديث عرف برحلته الشهيرة والتي دامت ثلاث سنوات والمعروفة برحلته ابن جبير .(أنظر كتاب ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر مركز ودود للمخطوطات بيروت، ط 2، د ت، ص 5).

[5] موسى باشا، المرجع السابق، ص 102.

تكوّن المجتمع في مملكة المقدس وملحقاتها يتكون من طبقة الأرستقراطيين[1] الذين منهم الملوك والأمراء والفرسان[2] .

وفي يد هؤلاء جميعهم الحكم والقضاء والحرب، ثمّ يأتي أكثرية السكان ممن يكدحون في سبيل العيش واستمرار الحياة من أرباب التجارة و الصناعة والزراعة، ثم قوام الإنتاج في الدولة وعليهم المعول في أيام الحرب والسلم .[3]

فقد كانت المجتمعات تتأثر ببغضها البعض في مناطق الاتصالات الطبيعية والواضحة بينهما، وهذه المجتمعات عادة تختار ما يناسب نظامها الفكري والعاطفي، ومما يُذكر أنّ أفراد الطبقات الاجتماعية كانت راقية ومتطورة.

بالإضافة إلى إقامة المستشفيات وتم تأسيس هذه المنشآت الخيرية في وقت مبكر وكان أشهرها مستشفي "جريجورى"[4]الأول ،التي أسسها سنة (603هـ/1206م) كما أسّس نفس البابا مستشفى على جبل سيناء ، كذلك تمّ إنشاء عدد من المستشفيات في بيت المقدس في أواخر القرن 8هـ /14م والهدف من تلك المؤسسات أن يجد الحجّاج في الشرق من يتكلم لغتهم ويقتدي بهم، ويقوم بحراستهم إلى الأماكن المقدّسة[5] ،ونلاحظ أنّه في هذه الفترة كانت مستشفيات عديدة[6].

---

[1] الأرستقراطية: وكانوا هؤلاء قلة إذ لم يزد عددهم في مملكة بيت المقدس عن ألفٍ من الرجال ومثلهم من النساء والأطفال، وظلت هذه الطبقة تعاني نقصاً كبيراً في العدد بسبب كثرة الضحايا في الحروب وهذه الطبقة من الطبقات التي تألف منها المجتمع الصليبي ببلاد الشّام في عصر الحروب الصليبية (أنظر كتاب محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 75).

[2] زكي النقاش، الحروب الصليبية وما نتج عنها من علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية بين العرب والإفرنج، د ط، 1366هـ-1946م، ص102-103.

[3] زكي النقاش، المرجع السابق، ص 102-103.

[4] جريجورى الأول الكبير: (ت 604هـ/1207م) وعلى الرغم من أنّ فترة بابويته لم تكن طويلة فإنّها تعتبر من أهم نقاط التحول في كنيسة العصور الوسطى فقد اعتلى كرسي البابوية، وكانت الكنيسة اللاتينية في عصره أشبه بسفينة يصدر عنها صرير الغرق(انظر كتاب نورمان ف-كانتور، التاريخ الوسيط، تر، تع، قاسم عبده قاسم،عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ب،ط 5،1997، ج 1، ص 227).

[5] الأماكن المقدّسة : أو الأراضي المقدّسة كانت ميراثا للقدّيس بطرس في مناطق الشّام (انظر كتاب يوشع براور، المرجع السابق، ص 193).

[6] نبيلة إبراهيم مقامي، المرجع السابق، ص10.

ب)– اقتصاديًا:

لم تكن بلاد الشّام وبعض أقطار المشرق الإسلامي في اعتمادها على الاقتصاد الطبيعي على وجه الحصر، الذي يقترن باستخدام محدود جدًا للنقود، فقد كانت العملات الإسلامية من الدنانير الذهبية والهيبربيون الذهبية البيزنطية، ودراهم الفضّة الإسلامية وتبنّى الصليبيون هذا النظام من الاقتصاد النقدي، لأنّه لم يكن هناك اختيار آخر أسهل من هذا النظام في منطقة الشرق العربي، وهكذا أدخل الصليبيون استخدام النقود حتّى في نظامهم الإقطاعي[1] ،الشّائع بينهم [2].

كان يعتمد النظام الاقتصادي في بلاد الشّام على الزراعة والصناعة والتجارة باعتبارهم عناصر مهمة.

1–الزراعة:

كانت الزراعة النواة الأولى للشعب، واستمروا يكونون الطبقة المنتجة في الظروف المختلفة، أمّا الأراضي التي كانوا يعملون عليها كانت ملكًا للطبقة الأرستقراطية، فكانوا يقومون بمهمة الدّفاع عنها ضدّ عدّو مهاجم[3].

ونشأت مع الزمن فئة من الإقطاعيين[4] الذين كان لهم الحقّ بتملك الأراضي بما عليها [5].

---

[1] النظام الإقطاعي:وجد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وكان هو الأساس الذي تقوم عليه الحكومة المحلية والقضاء والتشريع والجيش وكل السلطة التنفيذية، وتوصل رجال القانون إلى النظرية التي تقول إنّ أراضي الدولة جميعها إقطاع من الملك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة(انظر كتاب هـ – و – ديفز، تر عبد الحميد حمدي محمود، دار المعارف بالإسكندرية،ط 1، 1911، ص 88).

[2] يوشع براور، المرجع السابق،ص 106 .

[3] زكي النقّاش، المرجع السابق، ص 106.

[4] الإقطاعيين: بعضهم أساقفة ورؤساء أديرة (مقدّمون) وكبار رجال الدّين ومن ذوي المراكز الأخرى، وباقي تلك الهيئة تتكون من أدواق وكونتات وبرونات وفرسان وجميع أولئك وهؤلاء رجال دين أو دنيا (انظر كتاب ديفز، المرجع السابق، ص 88).

[5] زكي النقّاش، المرجع السابق، ص 106 .

2-الصناعة :

انتشر استعمال الأسلحة بين الإفرنج وغيرها من صنع البلاد الشرقية، فكانوا يبتاعون من دمشق[1] السيوف الإفرنجية من صنع اليمن وكذلك نرى أنّ الإفرنج مدّة إقامتهم في الدّيار الشّامية قد استفادوا من اختبارات العرب في فن الهندسة الحربية، فأخذوا عنهم أساليب بناء الحصون والاستحكامات، كما حسّنوا في وسائل الدّفاع [2].

3-التجارة:

ظهر بعض الحجاج الذين أرادوا الجمع بين الدّين والتجارة وكان هؤلاء هم تجار مدينة "ألما ليقا" الإيطاليون وقد برز من هؤلاء العائلتان ﴿ موري، لونلالكومي، lanlalcomi،mouri﴾[3].

اللتان استفدتا بحماية الدّولة البيزنطية[4]، فأسسا أفراد هاتين العائلتين علاقات تجارية مع كل من مصر والشّام[5]،ومن الأمور التي أثرت في النشاط التجاري لموانئ الشّام في القرن 7ه /13م غزوات المغول[6]، إذ شجعوا التجارة على اتخاذ الطريق البري عبر إمبراطورياتهم من الصين إلى تركستان[7]، وكان هناك.[8]

---

[1] دمشق: هي قاعدة الشّام ودار بني أمية سميّت باسم صاحبها الذي بناها وهو دمشق بني قاني بن مالك بن أرفخشز بن سام بن نوح عليه السلام وقيل سمّاها كنعان ، حيث اختلف في ذلك (انظر كتاب محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح إحسان عبّاس، مكتبة لبنان ، ط 1، 1975م، ط 2، 1984م، ص 237).

[2] زكي النقّاش، المرجع السابق، ص 106.

[3] نبيلة إبراهيم مقامي، المرجع السابق، ص: 11.

[4] البيزنطيين: هم سكّان الإمبراطورية الشرقية وكانوا يتفوقون كثيرًا من حيث العدد من سكّان الجزء الغربي اللتيني للبحر الأبيض المتوسط كما كانوا يتفوقون عليهم في مستواهم الحضاري ووجدت الإمبراطورية الشرقية في القسطنطينية المنيعة بؤرةً ومركزًا للحكم والثقافة والاقتصاد(انظر كتاب نورمان ف- كانتور، المرجع السابق، ص 173).

[5] نبيلة إبراهيم مقامي، المرجع السابق، ص 111.

[6] المغول:نشئوا في صحراء جوبي القاحلة، وهم شعب يشبه الترك في اللغة والمظهر العام، كانوا يعيشون على الصيد وأيضًا السرقة والعنف والفجور (انظر كتاب عصام الدّين عبد الرءوف الفقّي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي ، دار الفكر العربي، د ب، د ط، 1420ه/ 1999م، ص 168).

[7] تركستان: هم اسم جامع لجميع بلاد الترك وفي الحديث أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: " الترك أَول مَن يَسلُبُ أُمتي مَا خَوَّلُوا " ، وقيل بأنّ الشاة لا تضع في بلاد الترك أقل من أربعة ، وأوسع بلاد الترك بلاد التغزغز وخدّهم الصين(انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 23).

[8] محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 121.

عدّة طرق برية وبحرية انتهت إلى الساحل الشرقي في البحر المتوسط وهذه الطرق سهلت على التجّار نقل الحاصلات والبضائع [1].

ونلاحظ أنّ المدن ببلاد الشّام قد ازدهرت وتمتعت بنشاط كبير في المجال الاقتصادي وسار جنبًا إلى جنب مع التوسع الحربي[2].

وكانت التجارة تمر خلال الصفوف العسكرية، بمقتضى اتفاق متبادل، ونلاحظ بعد وفاة صلاح الدّين الأيوبي في مارس(589هـ / 1193 م) شهدت بلاد الشّام فترة هدوء نسبي ، ويمكن القول أنّه على الرغم من سيطرة الفرنجة على بلاد الشّام في القرنين (6هـ –7هـ / 12م–13 م) لم يكن لهم في التجارة الدّاخلية إلاّ نصيب ضئيل [3].

3– الجانب العلمي:

كانت بلاد الشّام خلال القرن 7هـ /13م قبلةً للعلم والعلماء خاصة بعد انتقال النقل الحضاري إلى عاصمتها دمشق بعد سقوط بغداد عاصمة الدولة العبّاسية عام 656هـ / 1256م ، وقد برز فحول من العلماء جمعوا الكثير من علوم من سبقهم بفهم ودقّة في الإدراك وأضافوا من عندهم أشياء،ونجد أنّ هذا القرن قمّة النضوج الفكري [4] .

إذ يصف لنا بن جبير «ت614هـ/1217م» في رحلته إلى دمشق النشاط العلمي فيقول: " أنّها جنّة المشرق ومطلع حسنه المؤنق المشرق، وذكر جامعها وقال: هو من أشهر جوامع الإسلام حسنًا وإتقان بنائه وغرابة صنعه، واحتفال تنميق وتزيين، ومن عجيب شأنه لا تنسج به العنكبوت ولا تدخله، وكان بهذا الجامع مرافق لتعليم الصبيان القرآن والخط في الأشعار وغيرها" [5] .

---

[1] محمود محمد الحويري، المرجع السابق، ص 121.

[2] المرجع نفسه، ص 109 .

[3] المرجع نفسه، ص 110 .

[4] بن جبير، المصدر السابق، ص 234-235 .

[5] بن جبير، المصدر السابق، ص 234-235 .

وأحصى فقهاء مدارس دمشق في عصر صلاح الدّين، فقد كانوا ستمائة فقيه، وقد ازدهرت في هذا القرن مدرسة اليعاقبة[1] في طرابلس[2]، وقد تعلم الكثير من المحاربين والقوّاد والأمراء الشرقيين ولاسيما **وأبو زكرياء يحي البياسي**، ورغم ما في هذا القرن من فتن نشأ للأمة علماء خدموا العلم في فنونٍ مختلفة [3]، واهتم الزنكيون بتعليم السّنة في المدارس واعتمدوا على منصب المحتسب وانشئوا عدداً كبيراً من المدارس[4]، كان عماد الدين زنكي محباً للعلم والعلماء وإجرائه المصالح العامة، وترقية العيش[5].

وكانت بلاد الشّام مركزاً للعلم والعلماء أكثر من بغداد[6]، حيث احتوت على 135 عالماً قضوا حياتهم هناك[7] .

بإضافة إلى العديد من الفقهاء والعلماء من أمثال **بن خلّكان وهو شمس الدّين أحمد بن محمد بن محمد إبراهيم بن خلّكان الشافعي الإرب لي ثمّ الدّمشقي**، كان قاضي دمشق مرتين توفي بدمشق سنة «681هـ / 1286م» ودفن بسفح جبل قاسيون **ترجم لابن كثير**[8] له مؤلفات عديدة[9].

---

[1] مدرسة اليعاقبة: تنسب إلى اليعاقبة وهم في بلاد الشام يمثلون الجماعة والفرقة المرنو فيزية يتمركزون بين أنطاكية والرّها (أنظر كتاب يوشع براور، المرجع السابق، ص 273) .

[2] طرابلس: وكانت تسمّى طرابلس الشّام تمييزًا لها عن طرابلس الغرب في شمال إفريقيا ، تعتبر مركزًا هامًا من مراكز التشيع في المنطقة الشّامية ثمّ صارت إمارة صليبية (انظر كتاب جعفر المهاجر، التأسيس لتاريخ الشّيعة في لبنان وسورية، دار الملاك، د ب،ط 1، 1413هـ / 1992م، ص 127) .

[3] محمد كرد علي، خطط الشّام ، مكتبة النّوري، دمشق، ط 2، د ت، ج 4، ص 33-34-35 .

[4] نقولا زيادة، المرجع السابق، ص 175- 176 .

[5] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 68 .

[6] بغداد: وهي مدينة محدثة في الإسلام فبناها المنصور في الجانب الغربي من دجلة ثمّ عُمّرت(انظر كتاب أبي القاسم بن حوقل، المسالك والممالك، د ب، د ط، 1872، ص164) .

[7] نقولا زيادة، المرجع السابق، ص 185 .

[8] ابن الكثير:الإمام الحافظ شيخ المحدّثين عماد الدّين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء القرشي الفقيه الشّافعي ولد بدمشق سنة 701هـ /1301م له العديد من المؤلفات أشهرها البداية والنهاية(انظر كتاب بن كثير، البداية والنّهاية، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، د ب، ط 1، 1417هـ /1997م، ج 1، ص 13) .

[9] صلاح الدّين المنجد، معجم المؤرخين الدّمشقيين، دار الكتاب الجديد بيروت لبنان، ط 1، 1398هـ/1978م، ص 116.

منها كتاب البداية والنّهاية [1].

وزيد بن الحسن بن زيد الكندي توفيّ 613هـ / 1216م ، **تاج الدّين أبو اليمن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن الكندي** المقرئ النحوي اللغوي، الفقيه الحنفي ولد في شعبان سنة (520هـ /1126م)حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وكمل القرآت وله عشر سنين[2] .

وأيضاً **الكمال سلا بن الحسن بن عمر بن سعيد الإرب لي الشافعي** الإمام العلامة مفتي الشام تفقه على يد بن الصلاح حتى برع في المذهب، فكان يصف ويعلق ويؤلف ويجمع وينشر المذهب وقال الشريف عز الدين عنه :« وكان عليه مدار الفتوى بالشّام في وقته ولم يترك في بلاد الشّام مثله توفي في عشر السبعين »[3].

وأبو عبد الله محمد بن عبد الوّاحد بن أحمد بن عبد الرّحمان بن إسماعيل السّعدي المقدسي الجمّاعيلي، ثم الدمشقي الصالحي ولد سنة(569هـ/1173م[(4)]) هاجر صغيرًا إلى دمشق كان يسمع ويكتب حيث حفظ الحديث متنًا وإسنادًا ومعرفة مع الورع والعبادة والتمسك، وبقيّ على ذلك إلى أن مات[5]، كان رحمه الله كثير الشيوخ، ومن أشهر شيوخه أبو الحسين أحمد بن حمزة بن علي بن الحسن الدمشقي .[6]

وقد خرّجت بيت المقدس من العلماء، ما يزيد عن 115**عالماً** من رجال ونساء على امتداد ثلاث قرون ونصف منهم: **الحافظ الإمام عبد الغني بن عبد الواحد بن سرور الجماعيلي المقدسي**[7].

---

[1] صلاح الدين المنجد المرجع السابق، ص 116.

[2] محمد مطيع الحافظ، جامع الحنابلة المظفري بصالحية قاسيون، دار البشائر الإسلامية، د ب، ط 1، 1423هـ/2002م،ص490.

[3] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح،تع محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة، د ب، د ط، د ت،ج 7،ص 578 .

[4] الضياء المقدسي، اختصاص القرآن بالعودة إلى الرحيم الرحمان، تح عبد الله بن يوسف البديع، مكتبة الرشد السعودية، ،د ط، د ت، ص 7.

[5] ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق ، ص 13.

[6] الضياء المقدسي، المصدر السابق، ص 7.

[7] محمد عثمان بشير، بيت المقدس وما حوله خصائصه العّامة وأحكامه الفقهية، مكتبة الفلاح الكويت، ط 1، 1407هـ/1987م، ص 95-96.

«ت600ه/1203م» وسمع الحديث من الحافظ السلفي، حيث اشتهر بكثرة التصنيف من مؤلفاته عمرة الأحكام من كلام خير الأنام[1] ، وكذلك **ضياء الدّين محمد بن عبد الوّاحد المقدسي**«ت 643ه/ 1246م» وبنى في دمشق المدرسة الضيّائية[2] ومن مؤلفاته :

سبب هجرة المقادسة إلى دمشق، الأحاديث المختارة، فضائل الشّام وغيرها [3].

ومن الأسر التي كان لها فضل كبير في نشر العلم والمعرفة أسرة آل المقدسي وهي أسرة الفقه الحنبلي في دمشق، منذ أواسط القرن 6ه /12م إلى مابعد أكثر من قرنين، وقد برزوا في التاريخ والتراجم خاصة **بن قدامة وهو الشيخ أحمد بن قدامة المقدسي(ت557ه /1163م)، وموفق الدّين عبد الله بن أحمد**« 620ه /1223م » أيضًا آل عساكر وكان أبرز الرجال فيها **بن عساكر** صاحب كتاب **تاريخ دمشق**(ت 571ه/ 1175م)[4] .

أمّا الرّحلات بين أقطار العالم الإسلامي، فقد كانت دار الإسلام مملكة واحدة في نظر العلماء والجغرافيين والتجّار والرحّالة، وكانت حركتهم فيها خلال تلك العصور حركة نشطة ومستمرة [5]،أبرزهم الرحّالة الجغرافيين المسلمين الذين زاروا بلاد الشّام زمن الحروب الصليبية خلال القرنين (6ه-7ه/ 12م-13م) نذكر منهم **ياقوت الحموي** (626ه /1227م) الذي تحدّث عن بلاد الشّام وزار العديد من الأقاليم والأصقاع في آسيا الصغرى ومصر وبلاد المغرب وإيران وبلاد ما وراء النهر ، وله العديد من المؤلفات مثل **معجم البلدان، ومعجم الأدباء [6]**.

---

[1] محمد عثمان بشير، المرجع السابق، ص 95- 96 .

[2] المدرسة الضيّائية: وهي مدرسة للحديث بناها الضيّاء بالقرب من جامع الحنابلة على الجهة الشرقية بسفح قاسيون على قطعة أرض ورثها عن والده، وجعلها لأهل العلم(انظر مذكرة فريدة شيخي، مساهمة أسرة المقادسة في الحياة العلمية بدمشق خلال القرنين 6ه-8ه /12م- 14م، إشراف عبد العزيز شهبي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة الجزائر، 1431ه /2010م، ص 79).

[3] محمد عثمان بشير، المرجع السابق، ص 95-96.

[4] شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين بيروت، ط 1، 1978م، ط3، 1983م ص 282.

[5] المرجع نفسه، ص 290.

[6] محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحّالة المسلمون في بلاد الشّام زمن الحروب الصليبية، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ب، ط 1، 1995م، ص 31-73-74.

ونجد كذلك **القز ويني**(ت 672هـ/1273م) الذي زار بلاد الشّام زمن الحروب الصليبية، من مؤلفاته: **أثار البلاد وأخبار العباد، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات،** وذكر الساحل الشّامي بمدنه المتعدّدة ومظاهر أوضاعها الحضارية، وتعرّض للحياة الاجتماعية والجانب الاقتصادي كالنجارة، وأيضًا تطرق إلى مجيئ الأوربيون إلى المنطقة ووجود اليهود في الشّام[1] .

وهناك العديد من الرحّالة الذين زاروا المنطقة فيما بعد من بينهم الرحّالة **عبد الرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي** ولد بتونس سنة(732هـ /1332م) تلقى العلم على عدد كبير من[2] العلماء الأندلسيين الذين هاجروا إلى تونس،ومن مؤلفاته: **كتاب في الحساب، مقدمته المشهورة،** وعاش بعد مدّة طويلة ارتحل خلالها إلى الشّام ومصر وتولّى منصب قاضي القضاة[3]، وأيضًا بن جبير (539هـ -614هـ /1144م- 1217م)[4] وقد سبق ذكره .

وختامًا لهذا التمهيد: فإنّنا نستنتج أنّ بلاد الشّام خلال النصف الأول من القرن السادس هجري (550هـ 599هـ /1155م-1202م) كانت عرضة لهجمات الصليبيين، إذ كانت تحت الحكم الأيوبي بقيادة صلاح الدّين الأيوبي.

وقد أحرز المسلمون العديد من الانتصارات على بلاد الإفرنج، لعلّ أهمها تحرير مدينة القدس من التواجد الصليبي بقيادة صلاح الدّين في معركة حطّين الشهيرة (583هـ/ 1187م) .

وقد استطاع المسلمون من تكوين جبهة إسلامية متحدة غرس بذورها عماد الدين زنكي ورعاها ابنه نور الدّين محمود، وإنّ المتأمل في الدولتين الأيوبية والزنكية يلاحظ أنّهما جاءتا استجابة سياسية وعسكرية لظروف العالم الإسلامي عامة والمنطقة العربية منه خاصة.

-أمّا دينيًا فقد كانت تسيطر على بلاد الشّام الطوائف والفرق الدينية مثل الشيعة والإسماعيلية والزيدية وغيرها من الفرق ، أمّا اجتماعيًا فقد كانت الطبقة الأرستقراطية هي الطبقة الحاكمة .

- ارتبط النظام الاقتصادي في بلاد الشّام بالزراعة والصناعة والتجارة.

---

[1] محمد مؤنس عوض، المرجع السابق، ص 74-119 .

[2] بن جبير، المصدر السابق، ص 5 .

[3] عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، مر سهيل زكّار، دار الفكر بيروت لبنان، د ط، 1431هـ / 2001م، ص 4 .

[4] بن جبير، المصدر السابق، ص 5 .

– وفي الجانب العلمي للبلاد في هذه الفترة كانت تعجّ بالعلوم والعلماء رغم اللإستقرار السياسي، حيث خرّجت بلاد الشّام ما يزيد عن 115 عالم من رجال ونساء منهم المقدسي(600هـ/ 1203م)، والقز ويني(ت 672هـ/1273م) وغيرهم .

المبحث الأول

التعريف بإقليم الشّام خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي.

1-المطلب الأول: الموقع الجغرافي

2-المطلب الثاني: أصل التسمية

3-المطلب الثالث : الخريطة السياسية لبلاد الشّام خلال القرن 7هـ / 13م

1-المطلب الأول: الموقع الجغرافي:

الشّام هو تلك الرّقعة الممتدّة بين سقي" النيل"[1]وسقي الفرات وهي بلاد تضاهيها من حيث الأهمية رقعة أخرى من أرض الله، ذات تاريخ حافل، تعاقبت عليها الأمم والدول وكل أضاف إليها، وأخذ مما تركه من كان قبله، فلا عجب أنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم أولاها اهتمامًا خاصًا في خطته الشاملة لنشر الإسلام[2]، فعن عبد الله بن حوّالة الأزدي أنّه **قال: "يَا رسُولَ الله خِر لي، بلدًا يكُونُ فِيهِ،فَلَو علمتَ أَنّك تبقىَ لَم أَختَر علَى قُربكَ، قال: عليكَ بالشّام ثلاث، فلمّا رَاى الرسول صلّى الله عليه وسلّم كراهيتَه إيّاهَا قالَ: هل تَدريِ فيماَ يقوُل الله في الشَّام؟ إنَّ الله تعالى يقوُل في الحديث القدسي "يَا شَامُ يدِي عليكِ، أنتِ الأنذَر وإليكِ المحشَر"** [3].

والشّام من العريش[4] إلى الفرات[5] وقيل إلى بالس وهي بلد بالشّام بين حلب والرّقة [6].

وقيل حدّ الشّام من الفرات إلى العريش المتاخم للدّيار المصرية أمّا عَرضها فمن جبل طيئ من نحو القبلة إلى بحر الرّوم وبها من أمهات المدن [7] .

---

[1] النيل: نيل مصر فقال حمزة: هو تعريب نيليوس من الرومية وقال القضاعي: ومن عجائب مصر النيل جعله الله لها سقيًا يُزرع عليه ويُستغنى به عن مياه المطر في القيظ (انظر كتاب، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 5، ص 334).

[2] جعفر المهاجر، المرجع السابق، ص 6.

[3] ابن شدّاد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجزيرة، تح يحي زكريا عبّادة، منشورات وزارة الثقافة دمشق، د ط، 1991، ص 22-23.

[4] العريش: لغة: بفتح أوله وكسر ثانيه، والعريش شبه الهودج يتخذ للمرأة تقعد فيه على بعيرها. وهي مدينة كانت أول عمل مصر من ناحية الشّام على ساحل بحر الروم في وسط الرمل (انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق،مج 4، ص 113).

[5] الفرات: في أصل كلام العرب أعذب المياه قال عزّ وجل "هَذَا عَذبٌ فراتٌ وهَذَا مِلحٌ أجَاجٌ " وقد فرت الماء يَفرتُ فَروته وهو فُرات إذا عذبَ ومخرج الفرات كما زعموا من أرمينيا (ياقوت الحموي، المصدر نفسه، مج 4، ص 241).

[6] الإمام النووي ، الإيجاز في شرح سنن أبي داوود السجستاني، تق تع تخ بن حسن آل سلمان، دار الأثرية عمّان الأردن،ط 1، 1468ه /2007م، ص 68- 71 .

[7] صابر محمد دياب، المسلمون وجهادهم ضدّ الروم، مكتبة السلام العالمية، د ب، د ط، 1404ه /1984م، ص 23.

حلب [1] وحماه[2]. وحمص[3] ودمشق وغيرها[4]، وقد قسّم الأقدمون بلاد الشّام إلى قسمين، الأول سوريا والثاني فلسطين [5]، في حين قسّم بعض المؤرخين الشّام إلى خمس شامات.

– **الأولى**: غزة[6]، الرملة[7]، عسقلان[8]، بيت المقدس.

–**الثانية**: الأردن، طبرية[9]، الغور[10]، اليرموك، بنسيان [11]ومدينتها الكبرى طبرية[12].

أمّا المدن الأخرى فسيأتي ذكرها .

---

[1] حلب: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء، والحَلَب في اللغة مصدر قولك حَلَبتُ أحلبُ حلبًا والحلبُ أيضًا لبن الحليب (انظر كتاب، ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 282).

[2] حماه: بلدة من بلاد الشّام بين حمص وحلب (انظر كتاب محمد بن لجوزي،مشيخة بن الجوزي، تق تح محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، د ب، ط 2، 1980م، ط 3، 2006، ص 190).

[3] حمص: بالكسر ثمّ السكون، والصاد مهملة، بلد مشهور قديم مسوّر وهي بين دمشق وحلب بناها رجل اسمه حمص بن مهر بن جان بن مَكنف (انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 302).

[4] صابر محمد دياب، المرجع السابق، ص 32.

[5] نعمان قسطالي، الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء، دار الرائد العربي بيروت لبنان، ط 1، 1299ه /1879م، ط 2، 1402ه /1982م، ص 3.

[6] غزة: هي بلد مشهور بالشّام بينه وبين عسقلان نحو فرسخين وهي مدينة من جند فلسطين ذات جوامع ومدارس وأسواق (انظر كتاب عبد الغنيّ النابلسي، الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشّام ومصر والحجاز،تح رياض عبد الحميد مراد، دار المعرفة، د ب، ط 1، 1410ه /1999م، ص 433 .

[7] الرملة: إحدى مدن الشّام وهي مدينة عامرة بها أسواق وتجارات ودخل وخرج(انظر كتاب محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح حسّان عبّاس، مكتبة لبنان، ط 1، 1975، ط 2، 1984، ص 422).

[8] عسقلان: ويقال لها عروس الشّام وكانت من أحسن المدن وقد خرّبها صلاح الدّين في شعبان في سنة 580ه / 1184م وبها أماكن تقصد للزيارة وهي على شاطئ البحر المالح انظر كتاب عبد الغني النابلسي، المصدر السابق، ص 433).

[9] طبرية: وهي بليدة مطلّة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل طور وهي من أعمال الأردن أي مناطق الأردن (انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 17).

[10] الغور: بالفتح ثمّ السكون والغور المنخفض من الأرض قال الأزهري الغور تهامة ومايلي اليمن وهو مَنخفض عن أرض دمشق وأرض البيت المقدّس (انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 216).

[11] اليرموك: واد بناحية الشّام في طرف الغور يصب في نهر الأردن كانت به حرب بين المسلمين والروم في أيام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه، بيسان: بالضمّ قال الأصمعي :بس وبيسيان :جبلان في أرض بني جشم وهو موضع فيه برك وأنهار(انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق،مج 1، مج 5، ص 423-434).

[12] نعمان قسطالي، المصدر السابق، ص 3 .

– **الثالثة:** الغوطة[1] ، دمشق وسواحلها ومدينتها الكبرى دمشق

– **الرابعة:**حمص، حماه، كفر طاب[2]، قنسرين[3]، حلب

–**الخامسة:** أنطاكيا[4]، العواصم[5]، مصيصة[6] ، وتذكر أغلب المصادر هذا التقسيم[7] .

وقيل أنّها فتحت في سنة ثلاث عشرة، حيث وجّه أبو بكر الصدّيق رضي الله[8] عنه الجنود إلى الشّام بعد عودته من الحجّ فبعث خالد بن سعيد بن العاص، وكان أول لواء عقده إلى الشّام لواء خالد رضي الله عنه[9] .

وهذا دلالة على أنّ بلاد الشّام كانت أرضًا مباركة فهي مهبط الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وقد ذكرها النبي صلّى الله عليه وسلّم بأنّها أرض فتن.

وورد ذكر الشّام في العديد من الأحاديث نذكر منها :

---

[1] الغوطة: بالضمّ أيضاً يقال غاط في الأرض غوطًا وهي غوطة أي منخفضة وهي بلاد طيئ (انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 219).

[2] كفر طاب: وهي بالشّام سميت بذلك لأنّ حواليها أرضًا كريمة وثمارًا كثيرة من زيتون ورمان، وهو مخَالِف لما تقدّم من أنّها منسوبة إلى رجل (انظر كتاب ، محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 500).

[3] قنسرين:سمّاها ميسرة بن مسروق العبسي مرّ عليها فلمّا نظر إليها قال: ما هذه؟ فسميت له بالرومية فقال: والله لكأنّها قنسرين فسميت بذلك (انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 403).

[4] أنطاكيا: هي مدينة قصبة العواصم من الثغور الشّامية موصوفة بالنّزاهة والطيب بينها وبين حلب يوم وليلة (انظر كتاب أبي الفضل محمد بن الشحنى، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تق عبد الله محمد درويش ، د ب، د ط، 1404هـ / 1984م، ص 201).

[5] العواصم: كورة من كور الشّام تلي عمل حلب (انظر كتاب محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 422).

[6] مصيصة: وهي من بناء الرّوم وهي من ثغور الشّام بين أنطاكيا وبلد الرّوم (انظر كتاب صابر محمد دياب، المرجع السابق، ص 32).

[7] نعمان قسطالي، المصدر السابق، ص 3.

[8] أبو بكر الصدّيق: وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عمر بن كعب..... بن غالب، بويع له يوم وفاة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم، توفي لثمان باقين من جمادى الآخرة سنة 13هـ وهو الخليفة الأول بعد الرسول صلّى الله عليه وسلّم(انظر كتاب محمد بن علي بن محمد بن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح تق قاسم السامرائي، دار الأفاق العربية القاهرة، ط 1، 1419هـ /1999م، ص 47).

[9] ابن الأثير، المصدر السابق، ص 252 .

حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو بكر و اللفظ لأبي بكر قالا: «حدّثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة، قال: قَدمنَا الشَّامَ فَأتانَا أبو الدَردَاء، فقالَ" فِيكم أحدٌ يقرأُ علَى قراءةِ عبد الله ؟ فقلتُ:" نعم أنَا، قال:"فكيفَ سمعتَ عبد الله يقرأُ هذه الآية "والليل إذ يغشَى ». الليل، الآية (1)[1] .

ويقول الإصطخري[2]: وأمّا الشّام فأنّ غربيها بحر الرّوم وشرقيها البادية من أيلة[3] إلى الفرات ثمّ من الفرات إلى حدّ الروم، وشماليها بلاد الروم وجنوبها حدّ مصر وتيه بني إسرائيل وأخذ حدودها ممّا يلي مصر رفح وممّا يلي الروم الثغور[4] وهي مَلطيّة [5]والحدث ومرعش والهرونية و الكنيسة، المصيصة وأذنه وطرطوس[6] ،وقد كان من محاسن الشام ضمير[7] ، اتخذها الرومان حصناً لهم[8] .

ويذكر القز ويني أنّها من الفرات إلى العريش طولاً ومن جبلي طيئ إلى بحر الرّوم عرضًا، وقال الرسول صلّى الله عليه وسلّم: في بلاد الشّام وتفضيلها على سائر البلاد قال:"**الشّام صفوة الله من بلاده وإليها يجتبي صفوته من عباده، والشّام هي الأرض المقدّسة التي جعلها الله**[9].

---

[1] مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، مؤسسة زاد القاهرة، ط 1، 1433ه /2012م، رقم الحديث824، ص 246.

[2] الاصطخري: هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي نسب إلى بلده إصطخر من فارس،لا يوجد ذكر في سيرته في أي كتاب وغير معروفة سنة مولده ووفاته وقيل أنه ة مولده ووفاته وقيل أنه التقى بابن حوقل في بغداد سنة 325ه (أنظر كتاب أحمد عادل كمال، الطريق إلى دمشق، دار النفائس، د ب، ط 1،1400ه/1980م،ط 4،1411ه/1990م، ص94).

[3] أيلة: بالفتح مدينة على ساحل بحر قلزوم مما يلي الشام، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشّام وقال أبو زيد " أيلة مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك يوم السبت فخالفوا فمسخوا قردة وخنازير(أنظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص292).

[4] الثغور: جمع ثغر بالفتح ثم السكون هذا الاسم يشمل بلاداً كثيرة، وهي البلاد المعروفة اليوم ببلاد اين لاون وأكثر بلادها متساوية وهي في مواضع كثيرة مثل ثغر الشّام وجمعه ثغور(انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر نفسه، مج2، ص 89).

[5] ملطية: بناها أبو جعفر المنصور فأقام عليها سنة حتى بناها وأسكنها الناس ذكرها المتنبي فقال:"ملطية أم البنين ثكول"(انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر نفسه، مج 5، ص 193).

[6] الاصطخري، المسالك والممالك، ص27 .

[7] ضمير: وهي قرية وحصن في آخر حدود دمشق (انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 4، ص 463).

[8] أبو البقاء عبد الله البدري، نزهة الأنام في محاسن الشّام، دار الرائد العربي بيروت لبنان، ط 1، 1400ه / 1980م، ص 153 .

[9] زكرياء محمد بن محمد محمود القز ويني، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت لبنان، دط، د ت، ص 205.

مَنزل الأنبياء ومهبط الوحي ومحل الأنبياء والأولياء، هوائها طيّب ومائها عذب، وأهلها أحسن النّاس خَلقًا وخُلقًا وزيًا وريًّا"[1] .

وقال الإمام أحمد حدّثنا أحمد حدّثنا حسن أخبرنا بن لُهيعة يزيد بن أبي يزيد حبيب إلى أن ينتهي عن زيد بن ثابت بن ثابت قال:" **بينما نحن عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذ قال: طوبى للشّام، طوبى للشّام، طوبى للشّام، قلت ما بال الشّام؟ قال: الملائكة باسطوا أجنحتها على الشّام"**[2].

إنّ الدّارس لبلاد الشّام من الناحية الجغرافية، يلاحظ أنّه لديها الحصانة الطبيعية التي نعمت بها بلاد الشّام بفضل وجود البحر والصحراء في غربها وشرقها وجنوبها وجود نهر الفرات كحدود شمالية لها [3].

وحين يتحدث المؤرخون والرواة القدامى عن الشّام وعن فتوح الشّام إنّما يقصدون بذلك الرقعة التي تشغلها الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، تلك كانت بلاد الشّام على مدى تاريخ طويل[4].

---

[1] زكريا بن محمد بن محمود القز ويني، المصدر السابق، ص 205.

[2] محمد شمس الحق العظيم الأبادي، عون المعبود في شرح سنن أبي داوود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الهجرة وسكنى البدو، ط 1، مج 1، ص 115.

[3] نبيلة إبراهيم مقامي، المرجع السابق، ص 23.

[4] أحمد عادل كمال، المرجع السابق، ص 15.

2-المطلب الثاني: أصل التسمية

-اشتقاق اسم الشّام: قال بعض المؤرخين والمفسرين إنّما سميت الشّام شّاماً لأنّ قوماً من بني كنعان[1] نزلوها، فتشاءموا إليها فسميت شّاماً لذلك وقالت طائفة إنّما سميت شّاما لما تشّاءم لها أهل اليمن من يمنهم، كما يُقال تيامنوا أو تيسروا فسميت بذلك [2].

ويُقال أنّها سميت الشّام لأنّها شامة الكعبة، وقيل بل من تشاءم إليها، وقيل بل لشامات بها حُمرٌ وبيضٌ وسوٌد، وأهل العراق يسمون كل من كان وراء الفرات شاماً [3].

وذهب بعضهم إلى تسميته شامًا لشاماتٍ له، يعني اختلاف أراضيه في ألوان ترابها وقد علمت أنّ بعض ترابه أبيض وأسود وأحمر وأصفر وبعضها أكدر[4].

والشّام بالسريانية الطيّب، سميت بذلك لطيبيها وخصبها وقال النحّاس: «أقرب إلى الحقيقة مدلول لفظ الحَول ويجوز أن يكون أخذ تفسير الحول بالشّام[5]»،وفي **قوله تعالى:«لِتُنذِرَ أُمَّ القُرَى ومَا حولهَا» الآية** (1) سورة الإسراء .

وقال قوم إنّما سميت شامًا لأنّ بني إسرائيل قتلوا بني كنعان ،ونفوا ما بقي منهم فسارت لهم ثمّ وثب الرّوم على بني إسرائيل فقتلوهم وأجلَو ما بقي عنها إلى العراق إلاّ قليلاً منهم، ثمّ جاءت العرب فقتلت الرّوم[6].

---

[1] كنعان: بلد الشّام فيه كان يعقوب بن إسحاق عليه السلام بها (انظر كتاب محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 422).

[2] أبو البقاء عبد الله البدري، المصدر السابق، ص 11.

[3] حسن الدّين أبي عبد الله محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر بيروت، ط 2، 1906، ص 152.

[4] أبو البقاء عبد الله البدري، المصدر السابق، ص 11.

[5] محمود إبراهيم، فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة، معهد المخطوطات العربية، د ب، ط 1، 1406هـ / 1985م، ص 339.

[6] أبو البقاء عبد الله البدري، المصدر السابق، ص 11.

يقول أبي البقاء في كتابه "**نزهة الأنام في محاسن الشّام**" جمع شامة، و الشّامة العلامة، يقال شَامة وشام مثل حاجة حاج، والرجل أشأم إذا كان ذا شامة، وحقيقة الشامة أن تكون مخالفة[1] للون الجسم[2].

وقال أيضًا أنّها سميت الشّام لأنّها عن شمال الأرض، كما أنّ اليمن أيمن الأرض، وقيل أيضًا لما تفرق النّاس من أرض بابل بوقوع سرح النمرود أخذ بعضهم يُمنَى فسميت الأرض التي نزلوها يَمنًا، لأنّها عن يمين البيت وأخذ آخرون شَأمَة، فسميت الأرض التي نزلوها شَأمًا، لأنّها عن شَأَمة البيت أي شماله[3].

والمشهور في اسم الشّام التذكير والتأنيث[4]، فيقال الشّام مباركٌ ومباركة[5]،وقيل سميّ لتشاءم [6].

بني كنعان إليه وقيل بل سميّ بسام بن نوح، وقال بعضهم أنّ سام بن نوح لم يدخل الشّام قط، وقيل لأنّ أرضه أي أرض الشّام مختلفة الألوان في الحمرة والسواد والبياض فسميّ شامً لذلك وقيل سميت الشّام شامًا لكثرة قُراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات [7].

أمّا عن تسمية الشّام بالأرض المقدّسة فقد جاء في حديث عن بن عمر قال: "**نزل الشيطان بالمشرق فقضى قضاءه، ثمّ خرج يريد الأرض المقدّسة الشّام، فمُنعَ، فحرج على بساق، حتّى جاء المغرب فباض بيضه، وبسط بها عبقريته**"[8].

وسمّى العرب سورية بلاد الشّام [9].

---

[1] ابو البقاء، المصدر السابق، ص 11.

[2] المصدر نفسه، ص 11.

[3] المصدر نفسه، ص 11.

[4] محمد كرد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 47-48.

[5] أبي داوود السجستاني ، المصدر السابق، ص 111-112.

[6] محمد كرد علي، المرجع السابق، ج1، ص 48.

[7] المرجع نفسه،ج 1، ص 48.

[8] ابن عساكر، مختصر تاريخ دمشق، تح روحية النّحاس وآخرون، دار الفكر، د ب، ط 1، 1404ه /1984م، ج 1،ص 221.

[9] حسين عطوان، الجغرافية التاريخية لبلاد الشّام في العصر الأموي، دار الجيل بيروت لبنان، ط 1، 1407ه /1987م.

كما جاءت الشّام بلفظ سورية وهو الاسم الأول، وكانت أرض بني إسرائيل قسمت على اثني عشر سهمًا فصار لكل قسم تسعة أسباط ونصف في مدينة يقال لها شامرين وهي من أرض[1]. فلسطين، فصار إليها مَتجِر العرب في ذلك الدّهر، ومنها كانت ميزتهم فسَمَو الشّام بشامرين ثمّ حذفوا الشّام[2].

وسورية اسم الشّام وفي بعض كلام هرقل حين دخل المسلمون الشّام وتغلبوا على أكثر مدنه، فهرب إلى أنطاكيا وانتقل من بلدٍ إلى بلد ولما التفت إلى بلاده فقال: "**السلام عليك ياسورية سلامٌ من ذا يراك أبدًا** " والقصة مشهورة نقلها أصحاب فتوح الشّام [3].

هذا ما يجعلنا نلاحظ أنّ اسم سورية اسم قديم لبلاد الشّام يعود زمنه إلى العصور حتى ما قبل الميلاد، أمّا عن الاسم المشهور لبلاد الشّام هو **الشامّ** فقد وردت في العديد من الأحاديث كما ذكرنا سابقًا، فقد جاء في الصحيح للبخاري[4] .

«حدّثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن بن شهاب عن عبد الله بن عامر خرج إلى الشّام، فلمّا كان يتسرع بلغه أنّ الوباء وقع بالشّام فأخبره عبد الرحمان بن عوف أنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم قال: "إذا سمعتم به بأرضٍ فلا تَقدَموا عليه وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فِرارًا منه [5]».

---

[1] ابن عساكر، المصدر السابق، ص 42.

[2] ابن عساكر، تاريخ دمشق، المصدر السابق،ص 42.

[3] محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 333 .

[4] البخاري:هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَردَزبة البخاري،ولد ببخارى وتسمّى بها، ولد يوم الجمعة 13شوال 194هـ، له العديد من المؤلفات منها أول كتاب بعد كتاب الله صحيح البخاري، بالإضافة إلى خلق العباد، قضايا والتابعين و غيرهم (انظر كتاب البخاري، صحيح البخاري، تح طه عبد الرءوف سعد، دار الرّشيد الجزائر، دار الاعتصام القاهرة، ص 5-6).

[5] المصدر نفسه، كتاب الطب، رقم الحديث، 5730، ص 1200 .

3-المطلب الثالث: الخريطة السياسية لبلاد الشّام خلال القرن7ه /13م:

كانت بلاد الشّام في هذه الفترة مهددة بالخطر الصليبي، إذ يعتبر هذا الغزو من أعظم الأسباب التي ساعدت الصليبين على نجاحهم في الحملة الأولى، وتكوين إمارات لاتينية ، وكانت المنافسات الداخلية في الإمبراطورية السلجوقية و المنازعات والقتال بين ورثة الحكم ،هذا الملك العظيم أكبر معين على استقرار الصليبين بالبلاد الشّامية،وفي سنة 612ه /1216م دعي البابا هونيريوس الثالث إلى حرب صليبية خامسة وكان الغرض منها انتقاض بيت المقدس وتخليصها من أيدي المسلمين[1].

ولو ينته طمع الصليبين ولم يقف عند ذلك الحد بل خرج الصليبيون من طرابلس وأغاروا على جبلة[2] واللاذقية[3] في ذي القعدة سنة 601ه /1205م وقد قَتل الصليبيون منهم أعدادًا كثيرة وأسروا أعدادًا أخرى، وعلى الرغم من وجود هدنة بين الصليبين والمسلمين فإنّ الغارات الصليبية على بعض مدن المسلمين لم تتوقف، وذلك بسبب كثرة الوافدين من الغرب الأوروبي في أوائل القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي [4]،

وقد احتفظ في هذا القرن (7ه/13م) سادة صيدا الصليبيون بعلاقات ودية مع سكان المنطقة سكان منطقة الجبل إلى الشرق من صيدا وبيروت وفي المنطقة التي تعرف باسم الغرب والشرق [5].

ويذكر في كتاب الروضة الغنّاء في دمشق الفيحاء أنّه سنة (648ه/1250م) وهي فترة ولاية الملك الناصر يوسف، حيث خرجت مصر من الدولة الأيوبية وقامت فيها دولة المماليك وسقطت بغداد والدولة العباسية، وفعل الوباء فعلا ذريعاً في سوريا وخصوصاً في دمشق وفتح التتار البلاد و أعدموا معظم أهلها، وقتل النصارى في دمشق ودمرت معابدهم وخرجت دمشق من أيدي الأيوبيين[6].

---

[1] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص65-105 .

[2] جبلة: بالتحريك، يقال جبلة الموضع الذي كانت فيه الرقعة المشهورة بين بني عامر وتميم وعبس وذبيان وفزارة وجبلة هذه هضبة حمراء بنجد وهي جبل طويل له شعب عظيم (انظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص104 .

[3] اللاذقية: مدينة في ساحل بحر الروم تعد في أعمال حمص وهي غربي جبلة بينهما ستة فراسخ (أنظر كتاب ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 5،ص 5) .

[4] أحمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية، مكتبة النهضة العربية القاهرة، ط 1، 1991، ص 183 -194 .

[5] يوشع براور، المرجع السابق، ص 73 .

[6] نعمان قسطالي، المصدر السابق، ص 65-66.

وتوالت التداخلات النصرانية، ففي سنة (661ه/1262م) أتى الظاهر بيبرس[1] إلى بلاد الشام وقتل المغيث صاحب الكرك، وخرب العديد من الكنائس مثل كنيسة النصارى [2].

إنّ الحملات الصليبية في القرن (7ه/13م) اتخذت طابعاً مختلفاً فكانت نتيجة الضعف الدائم الذي ألمّ بالمستوطنات الصليبية التي زرعت في المشرق حيث أنّ فرنجة الشرق لمّ يواجهوا أيّ خطر حقيقي طوال الفترة الأيوبية من بعد صلاح الدين، على الرغم من أنّ شواطئ فلسطين شهدت في هذا القرن موجات متلاحقة من الفرسان والمغامرين والباحثين تحت راية الصليب[3] .

وقد ضعف تيار الهجرة الأوروبية نهائياً، واختفت الحملات الصليبية الكبرى أيضاً[4] .

ففي الحملة الصليبية الخامسة طلب الحملة هذه المرة وكان ملحا في طلبه يوحنا بريين الذي تزوج ماريا وريثة مملكة عكا وصار ملكاً على الصليبيين في فلسطين سنة (607ه/1210م) [5].

وإذا كان هرقل قد أمضى سنتي (632ه-675ه/1234م-1276م) في جبهة الشّام إلا أنه سرعان ما أيقن صعوبة مقاومة العرب فترك بيت المقدس تقع في أيديهم [6].

في سنة (637ه-638ه/1239م-1240م) ويروي القلقشندى أنّ هرقل[7] عندما أيس من أمر الشّام خرج إلى الرها[8] حيث وقف على مرتفع والتفت إلى الشّام **وقال:**« **السلام عليك سوريا**[9].

---

[1] الظاهر بيبرس: الملك الظاهر ركن الدين بيبرس صاحب البلاد المصرية والحلبية وغير ذلك، سنة ست وسبعين وستمائة يقول عنه إبن كثير "كان شهماً شجاعاً عالي الهمة بعيد الغور مقداماً حسورا يشفق على الإسلام له قصد في نصرة الإسلام وأهله (انظر كتاب جمال عبد الهادي محمد مسعود،الطريق إلى بيت المقدس، دار الوفاء للطباعة المنصورة، د ط، د ت، ص 148).

[2] نعمان قسطا لي، المصدر السابق، 65-66

[3] مصطفى وهبة، المرجع السابق، 48-633

[4] يوشع براور،المرجع السابق، ص 633 .

[5] نبيلة ابراهيم مقامي، المرجع السابق، ص 10 .

[6] سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ العصور الوسطى، دار النهضة العربية بيروت، د ط، 1976، ص 97 .

[7] هرقل: هو إمبراطور بيزنطة الذي حكم الدولة الرومانية الشرقية مدّة ثلاثين عامًا ما بين عام 610ه-640ه /1213م-1242م وكان ذلك في عهد الفتح الإسلامي لبلاد الشّام(انظر كتاب أحمد عادل كمال، المرجع السابق، ص 34).

[8] الرّها: بضمّ الراء والمد، مدينة من أرض الجزيرة متصلة بحرّان وهي مدينة ذات عيون كثيرة بينها وبين حرّان ستة فراسخ(انظر كتاب محمد بن عبد المنعم الحميري، المصدر السابق، ص 273).

[9] سعيد عبد الفتّاح عاشور، المرجع السابق، ص 5.

سلامٌ لا اجتماع بعده ولايعود إليك رومي بعدها إلا خائفاً » ثم عاد إلى القسطنطينية [1].

حرصت دولة المماليك على رفع راية الجهاد ضدّ البقايا الصليبية بالشّام، من ناحية والمغول من ناحيةٍ أخرى وجاءت بداية هدم الكيان الصليبي بالشّام على يد الظاهر بيبرس (659هـ-676هـ/1260م-1277م) الذي رجح الكفة لصليبيين بالشّام، كما حرصت مملكة بيت المقدس الصليبية في عكا على عقد هدنة مع السلطان المنصور سيف الدين قلاوون[2] عام (676هـ/1283م)[3].

والثابت أنّ الصليبيين في بلاد الشّام في القرن(7هـ/13م) لم يكن لهم الرغبة في قدوم حملات صليبية جديدة وانصاعوا إلى حياة الخمول والبذخ وأبدوا الرغبة و التعايش السلمي مع المسلمين[4].

ويعود الفضل في طرد بقايا الصليبيين من بلاد الشّام إلى المماليك وفي رد المغول على أعقابهم في محاولاتهم الفاشلة للاحتلال الشّام ودخول مصر، وإذا كان التاريخ يحفظ لهم هذا الفضل السياسي على العالم الإسلامي في حمايته الذود عنه فإنّه لا ينكر مطلقًا دورهم الحضاري[5] ،حيث زادت المؤسسات الدينية والتعليمية زيادة كبيرة[6].

ولما آلت سلطنة المماليك بمصر إلى سيف الدّين قلاوون في(678هـ /1279م) بادر بعقد هدنة مع بقايا الصليبين، وقد خالفه بعض أمراء الشّام وجرت بينه وبينهم معركة عظيمة قرب مدينة حمص في رجب (680هـ /1282م) وانتصر فيها قلاوون على التتار[7] انتصارًا باهرًا ثمّ وقّع الصلح لحقن الدّماء بين السلطان قلاوون وملك التتار ،وما إن أمّن السلطان جانب التتار حتّى التفت إلى الصليبين[1]

---

[1] سعيد عبد الفتّاح عاشور، المرجع السابق، ص 5.

[2] قلاوون: وكان ملكًا جبّارًا عنيدًا قتل العديد من المسلمين شرقًا وغربًا مالا يعلم عددهم إلاّ الذي خلقهم(انظر كتاب بن كثير، لبداية والنّهاية، ج 17، ص 468).

[3] محمد محمود الحويري، المرجع السابق، ص 111.

[4] محمد محمود الحويري، المرجع نفسه، ص 111.

[5] حياة ناصر الحجّي، صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، دار القلم، د ب، ط 1، 1412هـ / 1992م، ص 135.

[6] حياة ناصر الحجي، المرجع السابق، ص 135.

[7] التتار: وهي تعني تائهين في الأرض (رائد عبد الرحيم، ألفاظ مغولية في أدب العصر المملوكي، (648هـ-703هـ)، قسم اللغة العربية، كلية الآداب نابلس فلسطين،2008 م ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج 22، ص 1306) .

[1] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 31-32.

فاستولى على المرقب في 684هـ / 1285م وفي سنة 688هـ / 1289م استولى على طرابلس ،ولم لصليبين إلاّ مدينة عكّا، وفي عهد ابنه الذي سجّل نهاية الصليبين في البلاد الشّامية[1].

بالإضافة إلى ظهور الطرق الصوفية[2] خاصة في هذا القرن وكانت دمشق بين القرنين 6هـ- 7هـ/ 12م-13م مركزًا هامًا لناحيتي التفكير الإسلامي السنّة والشريعة من جهة والتصوف من جهة أخرى وسبب هذا الانتشار يعود إلى عدد من النّازحين إليها من بغداد[3] .

أمّا المبحث الأول فقد خلصنا إلى جملة من النتائج هي:

- اختلف المؤرخون والعلماء حول بلاد الشّام من حيث الموقع والتسمية، والثابت عنها أنها أرض مباركة حيث وردت في العديد من الأحاديث.

أما عن الأوضاع السياسية في القرن (7هـ/13م) فكانت غير مستقرة، وذلك راجع إلى فترة الحروب الصليبية بالشّام وتأثيراتها على المنطقة، لكن رغم ذلك إلا أننا نجد أنّ الحركة العلمية لشّام في هذه الفترة كانت جدّ نشيطة والسبب في ذلك انتقال النقل الحضاري لها خاصةً بعد سقوط بغداد في يد المغول في سنة (656هـ/1258م) حيث تحولت عاصمة الشّام دمشق إلى قبلة للعلماء والمفكرين من كل صوب، ونذكر في ذلك الرحالة الجغرافيون مثل **ابن جبير**« 540هـ-614هـ/1145م-1212م» وغيرهم .

---

[1] محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 31-32 .

[2] الطرق الصوفية: قيل سميّت بذلك لصفاء أسرارها ونقاء آثارها، وقيل سمّوا بذلك لقرب أوصافهم من أوصاف الذين كانوا على عهد الرسول صلّى الله عليه وسلّم. وقيل للبسهم الصوف، وتشتق كلمة الصوفي من الصوف ويُقال أنّها ظهرت في سنة 160هـ(انظر كتاب فيصل بدير عون، التصوف الإسلامي، مكتبة سعيد رأفت، د ب، د ط، د ت، ص 47).

[3] نقولا زيادة، المرجع السابق، ص 184 .

المبحث الثاني

الإسهامات العلمية للمرأة في بلاد الشّام خلال القرن 7ه / 13م

1-المطلب الأول :أشهر عالمات بلاد الشّام خلال القرن 7ه /13م

2-المطلب الثاني: التدريس وحلقات العام

أ-الدور العلمي للمرأة الشّامية

ب-التدريس وحلقات العلم

ج-المؤلفات والآثار الفكرية

1–المطلب الأول: أشهر عالمات بلاد الشّام خلال القرن 7ه /13م .

اشتهر في بلاد الشّام خلال القرن 7ه /13م عدد كبير من العالمات ذاع صيتهنّ في بلاد الشّام ككل بل وحتّى في المشرق الإسلامي عامة، قصدهنّ كوكبة من العلماء لتتلمذ على أيديهنّ مثل البرزالي«ت739ه/1338م»، ابن رافع«ت747ه/1372م»، الذهبي «ت748ه/1347م»،وغيرهم.

وقد أحصينا في هذا القرن العديد من النّساء اللاّتي اشتهرنّ في العديد من العلوم، نذكر على سبيل الذكر لا الحصر.

الأولى: زينب بنت كمال الدّين أحمد بن عبد الرحيم ابن عبد الواحد ابن أحمد ابن عبد الرحمان ابن إسماعيل بن منصور المقدسي أمّ عبد الله « 646 هـ- 741ه / 1248م -1340م » بجبل قاسيون ماتت عن عمر يناهز 94سنة ونزلوا بموتها درجة[1].

والثانية : جورية بنت عبد اللطيف بن عبد الغنّي بن تيمية، قال في الدرر تكنّى بأمّ خلف زين النّساء، زوج أبي بكر الرحى، «ت 780ه /1378م» [2].

والثالثة: زينب بنت الأمير فخر الدّين عثمان بن محمد بن الشمس لؤلؤ الدمشقية، الحلبية الأصل، «ت 800ه /1397م» **بقرية بيت لاهيا** [3].

والرابعة: ست الوزراء بنت عمر بن أسعد التنوخية الدمشقية ولدت سنة «624ه/1226م »، «ت 716ه/ 1316م » محدثة بالمسند بالسماع ذات أخلاق فاضلة [4].

---

[1] زينب بنت الكمال، الأحاديث الموافقات العوالي، تح الحافظ أبي محمد البرزالي وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1426ه /2006، ص 12-18.

[2] محمد بن عبد الله الحنبلي، السحب الوابلة على ظرائح الحنابلة، مكتبة الإمام أحمد، د ب، د ط، د ت، ص 506.

[3] ابن حجر العسقلاني، المعجم المؤسس للمعجم المفهرس، تح يوسف عبد الرحمان المرعشاي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط 1، 1413ه / 1992م، مج 1، ص 596.

[4] عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة بيروت، د ط، د ت، ج 3، ص 173 .

والخامسة: عائشة بنت إبراهيم بن الصديق، المحدثة الفاضلة ولدت «661ه/1262م»« ت741ه/1340م [1]».

والسادسة: خاتون[2] أم شمس الملوك أخت الملك دقاق، صفوة الملوك زمرد خاتون بنت الملك جاولي[3]، « ت 557ه/1161م » بالمدينة المنورة ودفنت بالبقيع[4] .

والسابعة: خديجة بنت أُبي بن يوسف بن عبد القادر بن يوسف بن مسعود بن سعد الله الخليلية، « ت801ه/1398م [5]».

والثامنة: فاطمة بنت سليمان ولدت في « 620ه-708ه/1223م-1308م » **بن عبد الكريم الأنصاري الدمشقية [6].**

والتاسعة: أم الملك الأعظم وقال ابن الكثير «ت 602ه/1205م » يوم الجمعة العشرين من ربيع الأول، توفيت **الخاتون أم السلطان المعظم زوجة العادل،** فدفنت بالقبة بالمدرسة المعظمية بسفح قاسيون[7] .

والعاشرة: فاطمة بنت أبي بكر بن محمد بن طور خان،أم محمد بنت الزين[8] .

---

[1] عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ج 4، ص 4.

[2] خاتون: تعني الأميرة، والملكة، والسيدة عريقة الأصل وجمعت على خواتين (انظر رائد عبد الرحيم، ا لمرجع السابق، ص 130).

[3] عبد القادر الدمشقي، الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1410ه/1990م، ج 1، ص 385) .

[4] عمر كحالة، المصدر السابق، ج 2، ص 37-38.

[5] ابن حجر العسقلاني، المعجم المؤسس للمعجم المفهرس، المصدر السابق، ص 528-589 .

[6] محمد راغب الطباخ الحلبي، أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشّهباء، دار القلم العربي حلب ، ط 1، 1341ه/1923م، ط 2، 1409ه/1989م، ج 4، ص 131 .

[7] ابن طولون، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تح محمد أحمد دهمان، مجمع اللغة العربية دمشق، د ط، د ت، ص 221 .

[8] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح محمد عبد المعيد ضان، دائرة المعارف العثمانية صيدا آباد الهند، د ط، 1392ه/1972م، ص 223 .

من شهيرات نساء الشّام في القرن السابع والثامن هجري ولدت سنة «652ه /1254م» توفيت سنة «726ه /1325م»[1]

والحادية عشر: فاطمة بنت عبد الدّائم، ولدت سنة «666ه /1267م»«ت 734ه /1333م»[2] .

والثانية عشر:رقية بنت الشيخ أبي عمر«621ه /1225م» .

والثالثة عشر: رابعة بنت أحمد بن قدامة الصالحية «620ه /1223م» حفظت القرآن الكريم[3].

والرابعة عشر: فاطمة بنت إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسي«654ه-747ه /1256-1346م» **الشيخة الصالحة المعمّرة أمّ إبراهيم** بنت الخطيب عز الدّين بن عبد الله آخر من حدّثت بالإجازة[4].

والخامسة عشر: الشيخة أمّ المؤيد زينب بنت أبي القاسم الشعرية «615ه /1218م» كانت شيخة صالحة مكثرة[5].

والسادسة عشر: زينب بنت الأمير فخر الدّين عثمان بن محمد بن الشمس لؤلؤ الدّمشقية، الحلبية الأصل، «ت800 ه /1398م» روت الكثير، وسمعت جميع الصحيح للبخاري[6].وسيأتي ذكرها .

والسابعة عشر: زينب بنت عبد الله البعلبكية الدّمشقية «ت780ه/1378م» محدّثة حلب[7] .

والثامنة عشر:فاطمة بنت إبراهيم بن محمود البطائحي ولدت سنة«625ه/ 1127م» سمعت الصحيح وحدّثت توفيت في «711ه/1311م» ذات صلاح ودين .

والتاسعة عشر: فاطمة بنت عبيد الله بن محمد المقدسية الصالحية ولدت سنة «660ه/1261م»سمعت على بن عبد الدائم «656ه-743ه/1258م-1342م» أجاز لها أبو شامة المقدسي «ت665ه-1266م»[8].

---

[1] ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج 3، ص 223.

[2] المصدر نفسه، ص 223.

[3] فريدة شيخي، المرجع السابق، ص 55.

[4] المرجع نفسه، ص 56.

[5] المقدسي، اختصاص القرآن بعودة إلى الرحيم الرحمان، المصدر السابق، ص 8.

[6] ابن حجر العسقلاني، المعجم المؤسس للمعجم المفهرس، المصدر السابق، ص 596.

[7] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 2، ص75.

[8] ابن حجر ،الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج 3، ص 220-223.

والعشرون:فاطمة بنت أبي البركات عبد الولي بن تاج الدّين أمّ الخير بنت شرف الدّين وحدّثت[1].

لها إجازة ويقال لها شرفية «ت724هـ/1323م» الثالث عشر من صفر[2] .

والواحد والعشرون: فاطمة بنت عثمان بن عثمان بن موسى وتُعرف **ببنت شهبة** سمعت من بن عبد الدّائم «ت743هـ/1342م»وحدّثت وسمع منها البرزالي «ت739هـ/1338م» وتوفيت في الثالث عشر من شوّال «721هـ/1321م»[3].

والثانية والعشرون: فاطمة بنت أحمد بن منعة بن طريف الصالحية كانت امرأة صالحة عابدة خيّرة روت الكثير توفيت في جمادى الأولى «719هـ/1319م»[4] .

[1] المصدر نفسه، ص 25.

[2] ابن حجر، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج3، ص 225.

[3] المصدر نفسه، ص 225.

[4] شمس الدّين الذهبي، المصدر السابق، ص 426.

2– المطلب الثاني: الدور العلمي للمرأة الشّامية

كان للمرأة دور علمي كبير في بلاد الشّام خلال القرن 7هـ / 13م حيث تركت أثرًا بارزًا في الحياة العلمية والحضارية، ولاسيما فيما يتعلق بالعلوم الدينية، ومنها علوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، حيث شاركت العلماء وساهمت معهم في إغناء الفكر العربي الإسلامي، وقد تتلمذ على أيدي النّساء الكثير من مشاهير العلماء والمفكرين والمؤرخين في بلاد الشّام، كما ساهمنّ أيضًا في إغناء الحركة العلمية عن طريق التدريس وحلقات العلم سواءٌ في بيوتهنّ أو في المساجد والجوامع بالإضافة إلى بنائهنّ العديد من المراكز العلمية، واعتمدوا على الوقف والأربطة التي كانت بمثابة منفعة دينية ودنيوية، كما لا ننسى الكمّ الهائل من المؤلفات والكتب القيّمة والنفيسة التي اعتمد عليها كبار العلماء والمؤرخين، وثمارها باقية إلى يومنا هذا .

أ)–التدريس وحلقات العلم:

اشتهرت العديد من النّساء اللاتي تفرغنّ للتدريس في البيوت والمساجد والمدارس تخصصوا في علوم عديدة كالحديث والفقه وإقراء القرآن نذكر منهنّ:

–أسماء بنت إبراهيم من ربات العبادة والزهد والصلاح، ولدت سنة(646هـ / 1248م)، وكانت تلقن النسوة القرآن وتعلمهنّ العلم، وكانت تجهد نفسها فيما يقربها إلى الله، وماتت ليلة الجمعة 9 جمادى الأولى سنة(708هـ /1308م[1])

–وأمّ القاسم: من ربات الّبر والإحسان كان بيتها مجمعًا للنّسوة المنقطعات والأرامل، وكانت تعلّم البنات «ت 760هـ /1358م[2]».

–وأسماء بنت موسى الضجاعي من فواضل النّساء يمانية من زبيد كانت تقرأ التفسير وكتب الحديث وتسمع النّساء وتعظهنّ ، وتأدبهنّ، وتوفيت في زبيد[3] .

---

[1] عمر رضا كحّالة ، المصدر السابق، ج 1، ص 43.

[2] المصدر نفسه، ج 4، ص 173.

[3] المصدر نفسه، ج 1، ص 65.

–وفاطمة بنت محمد بن الحسين بن فضلويه الراوي البزّاز، كانت شيختنا فاطمة واعظة متعبدة سمعت أبا جعفر بن المسلمة وأبا بكر الخطيب وغيرهم «ت 521ه /1127م»وكان ذلك في ربيع الأول[1] .

–وست العرب بنت محمد بن الفخر علي بن البخاري الشيخة الصالحة المحدثة المكثرة،« ت 767ه /1365م» حضرت عن جدّها كثيرًا وحدّثت وانتشر عنها حديث كثير وسمع منها الحافظان بن العراقي والهيثمي والمقري وبن رجب ، توفيت بدمشق ليلة الأربعاء أول جمادى الأولى[2] .

ومن الحافظات للقرآن الكريم، ذات دين ووزع، هي **عائشة بنت إبراهيم بن الصديق** المحدثة الفاضلة حدثت، ولقنت النساء، وأقرأت عدة نساء وختمن عليها، وانتفعنا بها، وقال عنها بن كثير:«كانت عديمة النظير لكثرة عبادتها، وحسن تأديتها للقرآن، تُفَضلُ في ذلك على كثير من الرجال »[3].وذكر الألباني محمد ناصر الدّين «ت 1420ه /1999م» في كتابه أنّه شاع في دمشق في الآونة الأخيرة في ارتياد النّساء للمساجد في أوقات معينة ليسمعنّ درسًا من إحداهنّ، ممن يسمون **"بالدّاعيات"** – زعمتا– فذلك من الأمور المحدثة التي لم تكن زمن النبي صلى الله عليه وسلم[4] .

ولا في عهد السلف الصالح وإنّما المعهود أنّ يتولى تعليمهنّ العلماء الصالحين في مكان خاص لقوله صلّى الله عليه وسلّم «وبُيوتُهنّ خَيرٌ لهُنّ [5]».

–بإضافة إلى **شهده بنت أحمد بن الفرج بن عمر ألإبري**:«سَمعت شهده من جعفر بن السراج والطرّاد وغيرهما وكان لهما حظ حسن وعاشت مخالطة لدار الخلافة وصارت أسند أهل زمانها، سمع منها خلق كثير منهم مثل السمعاني ابن عساكر، والحافظ عبد الغنّي[6]، تلقب بفخر النّاس البغدادية «ت 574ه /1178م [7]».

---

[1] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 2، ص 198–199.

[2] ابن العماد، شذرات الذهب، تح محمد الأرناءوط، دار بن كثير دمشق، بيروت،ط 1، 1413ه / 1996م، ص 357- 358.

[3] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 4، ص 4.

[4] الألباني، قاموس البدع، دار الإمام البخاري الدوحة قطر، ط 1، 1428ه / 2007، م، ص 340–341.

[5] المصدر نفسه، ص 341.

[6] آل سلمان، عناية النّساء بالحديث النبوي، دار بن عفّان السعودية، ط 1، 1414ه /1994م، ص 38–39.

[7] خالد الكبير علال، المرجع السابق، ص 65

–وزينب بنت الكمال والتي سبق ذكرها والتي نشأت في عائلة علمية متدينة فبكّر بها أبوها إلى مجالس التحديث تحصيلاً للبركة في مجلس سماع على الشيخة حبيبة بنت إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر«654ه -745ه /1247م- 1345م» **وأهم شيوخ** زينب بنت الكمال إبراهيم بن خليل بن عبد الله المقدسي«ت658ه /1259م» وأحمد بن عبد الدّائم بن نعمة بن أحمد المقدسي«ت668ه /1269م» وعبد الحميد الهادي بن يوسف المقدسي الجماعيلي«ت658ه /1259م» حيث تكاثر عليها الطلبة [1].

من أهم تلامذتها:

علم الدّين أبو محمد القاسم بن محمد البرزالي، علي بن على بن المؤيد بن حمويه الجويني الشافعي« ت 739ه/1338م»، محمد بن عبد الوهاب بن يوسف الأقنعسي«ت741ه /1340م»، ويوسف بن عبد الرحمان بن يوسف جمال الدّين المزي«ت742ه /1341م[2]»

وتزاحم عليها الطلبة وكانت خيّرة ديّمة لطيفة الأخلاق وحسنة التودد على الطلبة، ربما سمعوا عليها أكثر في النّهار مع أنّها أقعدت سنوات وقد ذهبت عينها برمد في صغرها، ويُذكر أنّها لم تتزوج قط[3].

–زينب بنت العماد بنت عثمان بن عبد الرحمان الدّمشقية تعرف ببنت السكري ويُقال لأبيها بن العصيدة فقد ولدت سنة «685ه /1286م» يقول ابن حجر العسقلاني أجازت لي غير مرة كما أجازت لفخر بن البخاري وزينب بنت مكي ونحوها ماتت في أواخر سنة «ت799ه /1396م[4]» **وكذا الشيخة أمّ المؤيد زينب بنت أبي القاسم الشعرية**، كانت شيخه صالحة مكثرة ولدت سنة «615ه /1218م» [5].

وأمّ إبراهيم فاطمة بنت الخطيب عزا لدين إبراهيم بن عبد الله بن أبي عمر المقدسية الصالحية خاتمة أصحاب إبراهيم بن خليل وأخر من حدّث بالإجازة عن محمد بن عبد القادر[6] .

---

[1] زينب بنت الكمال، المصدر السابق، ص 12-19.

[2] المصدر نفسه، ص 19.

[3] شمس الدّين، الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام، اعتنى به مازن بن سالم بالوزير، دار المغنى للنشر، د ب، د ط، د ت، ص 469.

[4] بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، المصدر السابق، ج 1، ص 596-597.

[5] القدسي، اختصاص القرآن بالعودة إلى الرحيم الرحمان، المصدر السابق، ص 8

[6] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 2، ص 14.

–وآمنة بنت عبد الرحمان بن أحمد بن محمد المقدسية محدّثة ذات صلاح وعبادة سمعت عن النّجيب عبد اللطيف عدّة أجزاء عن الموافقات، وسمع عليها محمد الواني بالقراءة الجزء الرابع من موافقات النّجيب عبد اللطيف وتخريج أبي طاهر منه بالصالحية سنة «714ه /1314م»قال البدر النّابلسي في مشيخته: كانت صالحة عابدة خاشعة كثيرة العبادة، «ت 742ه /1341م»[1].

–وقطر النّدى بنت أبي نزار بن عبد الرحمان بن علي بن لبرني محدّثة من محدّثات القرن السادس وأوائل القرن السابع للهجرة[2].

كانت معظم النّساء يحصّلن مختلف العلوم في الغالب في بيوتهنّ خاصة وأنّ جميعهنّ نشأنّ في أسرة علمية متدينة، فقد تلقّين العلم عن الجد أو الأب أو الزوج وبذلك يكون للمرأة حظ وافر من العلم ونصيب في تعليم النّساء الأخريات فقد كانت تقام هذه المجالس عند التقاء النسوة مع بعضهنَّ البعض.

نذكر **عائشة بنت عيسى بن الموفق بن محمد بن قدامه أمّ أحمد المقدسية الحنبلية** سمعت من جدّها وحدّث عنها بن الخبّاز في سنة «662 ه /1263م »كما قرأت بخط أخيها الحافظ سيف الدّين ولدت سنة «611ه /1214م» في شعبان «697ه /1297م »، **وحبيبة بنت المفتي تقي الدّين** «ت 634ه /1254م» امرأة صالحة عابدة مؤمنة سمعت من أبيها وجماعة أخرى «ت703ه /1303م» من ربيع الأول[3] .

وبنت عمّ الحافظ تقي الدّين محمد بن رافع «ت774ه/1372م» حدّثت هي وأخوها وأبوها وعمّها وزوجها وكانت خيّرة، كريمة النّفس، حجت في آخر عمرها «ت 763ه /1361م[4]» .

---

[1] عمر رضا كحالة ،المصدر السابق، ج 2، ص 14.

[2] المصدر نفسه، ج 4، ص 215.

[3] شمس الدّين الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، تح تع روحية عبد الرحمان السيوفي، دار الطب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1410ه /1990م، ص 414-415-176.

[4] الحافظ ولي الدّين العراقي، الذيل على العبر في خبر من غبر، تح صالح مهدي عبّاس، مؤسسة الرسالة، د ب، ط 1، 1409ه /1989م، ص 66.

وتشير المصادر إلى أنّه كان هناك التقاء بين الشيوخ والشيخات في الجامع المظّفري[1] لإسماع كتاب في الحديث الشريف[2]، وكانت هذه الطريقة قد تميّز بها علماء الصالحية، وكانوا يتفقهون على أيدي الشيوخ والشيخات لإسماع كتاب معين، فيجلسون معًا، ويقرأ أحد الطلبة الكبار وهم يستمعون، وربما شرح واحد أو أكثر ما يتعلق بالأحاديث وعلوّ سندها، وكان القصد من هذا نشر الحديث وروايته بين الطلبة، وتوفير الوقت عليهم بدلاً من أن يجلس كل واحدٍ مع شيخ على حدا،ونلفت إلى ظاهرة وهي أنّه تشارك إلى جانب الشيوخ شيخات لأنّ من عادة الشيخات أن يأتي إليهنّ الطلبة إل بيوتهنّ[3] .

لقد لعب المقادسة المهاجرون إلى الشّام دورًا كبيرًا في نشر العلم والمدارس للتعليم وأخذوا بيد المرأة إلى حلقات العلم ومجالس الحديث فنشأ في الصالحية ثمّ في دمشق حركة نسائية علمية كان أكثر صاحباتها الحنابلة مثل **ست العرب**«ت767هـ /1365م» و**ست الشّام**«ت 610هـ /1213م» و**ست الوزراء** «ت716هـ /1316م» وغيرهنّ كثير[4] .

ب)– بناء المراكز العلمية:

كان إسهام المرأة في إقامة المؤسسات العلمية في بلاد الشّام الأثر البارز، حيث أنشأت المساجد والأربطة ودور العلم والخوانق والتي كانت تمثل أهم المراجع العلمية والدينية في تلك الفترة نذكر :

---

[1] الجامع المظفري: له عدّة أسماء أشهرها الجامع المظفري وهي أقدم تسمية له، نسبة لبانيها السلطان مظفر الدّين كوكوري فإنّه الذي صرف على تكميل عمارته ويسمى أيضًا جامع الجبل: لأنّه في مصاعده جامع الحنابلة وأيضًا جامع الصالحين، وهو يعتبر أول مسجد جامع تقام فيه خطبة الجمعة في الصالحية وأول جامع كبير بني في دمشق بعد الجامع الأموي جامع الحنابلة المظفري (انظر كتاب محمد مطيع الحافظ، المرجع السابق، ص 21-22).

[2] الحديث: لغة صنع القديم ويطلق على ما يتحدث به من قليل الكلام وكثيرة، اصطلاحًا هو أقوال النبي صلّى الله عليه وسلّم وأفعاله وتقريرا ته وصفاته الخَلقية والخُلقية (انظر كتاب محمد بن محمد أبو شهبة أعلام المحدثين، مركز كتب الشرق الأوسط، د ط1و د ت، 1).

[3] محمد مطيع الحافظ، المرجع السابق، ص 439.

[4] ياسين محمد السوّاس، فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الكويت،ط 1، 1408هـ /1987م، ص 9.

1–**بناء المدارس:** حاول الكثير من الباحثين التأريخ لنشأة المدارس في الإسلام بالبحث في الأصل اللغوي لكلمة "**مدرسة** "ولم يكن أمامهم سوى رد الكلمة إلى أصلها الثلاثي "**درس**" إلاّ أنّهم وجدوا لنفس الكلمة معانٍ متباينة لم يستطيعوا الربط بينها حتى ردها أحدهم إلى أصل عبري وجاء من كلمة درس أي درس الكتاب يدرسه درسًا، ودراسة بمعنى عاود الكتاب قراءةً فيه حتّى انقاد لحفظه ومعنى ذلك أنّ الكلمة لها علاقة بالعملية التعليمية إلاّ أنّه لا المساجد وذكر في الجوامع واختلف إلى المدارس[1].

لم تكن المدارس في الشّام من ابتداع العرب بل كان سبق لهذه البلاد أنّ عرفت المدارس من قبل بدليل أنّ المسلمين كانوا في بلاد الشّام يشاركون النّصارى في مدارسها التي كانت تخرج رجالاً في الدّين والعلم والأدب، ويجب أن ندرك أنّ هذه المدارس كثيرًا ما كانت تلقي العلوم الدينية .[2]

نذكر منهنّ : **أمّ السلطان الأشرف بركة بنت عبد الله** قال المقريزي«ت 845هـ /1441م[3].

–والشيخة فاطمة بنت عبد الله المقدسية الصالحة«721هـ/1321م»[4]الفقيهة الشيخة الصالحة العالمة حيث أوقفت "دار الحديث العالمة"وهي شرقي الرّباط النّاصري غربي سفح جبل قاسيون، بالإضافة إلى إنشاءها "مدرسة للحنابلة" بدمشق وهي التي أشارت على أخت "صلاح الدّين الأيوبي، **–وربيعة خاتون** سنة «643هـ/1245م» قامت ببناء مدرسة للحنابلة بصالحية النّاصر الحنبلي وكانت فاضلة «ت653هـ/1255م» وجد لها بدمشق جواهر وذخائر نفيسة تقارب ب 6000درهم[5].

ونلاحظ أنّ هاتين المدرستين كانت تستقطب العديد من الحنابلة الذين تخرّجوا على أيديهنّ وانتفعوا بعلمهنّ، ونجد أن حتى هؤلاء التلاميذ درّسوا في هذه المدارس وكوّنوا علماء.

---

[1] أيمن شاهين سلام، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، دكتوراه فلسفة في الأدب شعبة التاريخ الإسلامي، إشراف أحمد عبد الحميد لخفاجي، جامعة طنطا، 1420هـ /1999م، ص 34-35.

[2] زكي النقاش، المرجع السابق، ص 56-57.

[3] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 1، ص 12

[4] محمد مطيع الحافظ، المرجع السابق، ص 660.

[5] ابن طولون، المصدر السابق، ص 140.

وكل هذه الأملاك التي كانت بحوزة **ربيعة خاتون** أضافت إلى ذلك أوقافا[1] كثيرة عليها [2] .

وست الشّام بنت أيوب بن الشاذي أخت صلاح الدّين وتنسب إليها المدرستان بدمشق كانت سيدة الخواتين، عاقلة كثيرة البّر والصلاة والبّر والإحسان والصدقات، وكان يعمل بدارها من الأشربة والمعاجين والعقاقير في كل سنة وتفرقها على النّاس، وكان بابها ملجأ للقاصدين ومفزعًا للمكروبين وأوقفت على المدرستين أوقافًا كثيرة وكانت لها جنازة عظيمة «ت 610هـ /1213 »[3].

–وربيعة خاتون بنت أيوب «ت643هـ/ 1245م»جاوزت الثمانين سنة[4].

دفنت في مدرستها الموقوفة على الحنابلة بسفح قاسيون، وكانت وفاتها بدمشق[5]، بإضافة إلى إنشائها "مدرسة الصاحبة"[6]بجبل قاسيون، وقد بنتها لسعد بن المنجى فدرّس بها وكان يومًا مشهودًا وحضرت الواقعة من وراء الستر وانتهت إليه رياسة المذهب[7].

–وزمرد بنت جاولي حيث شيّدت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق ووقعت عليها كثيرة «ت557هـ /1161م» [8].

–وبنفشة بنت عبد الله التركية «ت 598هـ /1201م» عرفت هذه السيدة بكثرة الصدقة للفقراء [1].

---

[1] الوقف : ومعناه تحصيل الأصل وتشبيل الثمرة ويصح وقف كل عين يُنتفع بها مع بقاء عينها دائمًا قياسًا على النصوص علية ولا يصح وقف ما لا يُنتفع به مع بقاء عينه كالأثمان والأكول والمشروب(انظر كتاب أحمد بن محمد بن قدامة الحنبلي، الكافي، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، د ب، ط 1، 1414هـ-1997م، ص 572-573).

[2] ابن طولون، المصدر السابق، ص 140.

[3] أبي شامة المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، تع إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1422هـ / 2002م، ص 180.

[4] عمر كحّالة، المصدر السابق، ج 1، ص 346-403.

[5] المصدر السابق، ج 1، ص 403.

[6] المدرسة الصاحبة: الصاحبية كانت بجبل قاسيون من الشرق وهي من إنشاء ربيعة خاتون حيث دفنت بها وهي مدرسة للحنابلة (انظر كتاب عبد القادر النعيمي، المصدر السابق، ص 62).

[7] ابن العبّاس خلكان، المصدر السابق، ج 4، ص 120-121.

[8] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 2، ص 37-38

[1] محمد عبد العظيم أبو النصر،الأوقاف في بغداد في العصر العبّاسي الثاني، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ب، ط 1، ص 66.

والمساكين وإنشاء المؤسسات الخيرية ، حيث أنشأت مدرسة بنفشة وهي تقع في محلة باب المراتب. قرب "باب الأزج"، بأسفل البلد على شاطئ دجلة ولهذا تعرف "بالمدرسة الشاطئية" وافتتحت للتدريس سنة «570هـ /1174م»[1].

وفاطمة بنت سليمان بن عبد الكريم الأنصاري، عالمة بالحديث كما ذكرنا سابقاً، دمشقية أخذت عن أبيها وغيره وأجازها معظم علماء الشّام والعراق والحجاز وفارس في عصرها وكانت لها ثروة واسعة فبنت عدة مدارس وتكايا ووقفت لها أوقافاً «ت 708هـ /1308م » بدمشق[2] .

وتعتبر **سفرى بنت محمود البارودي** من ربات البّر والإحسان أيضًا حيث وقفت أيضًا سنة «768هـ /1366م» "المدرسة البار ودية" بباب الناظر بالقرب من القدس وهي اليوم دار سكن[3] .

–وخديجة خاتون بنت الملك المعظم من ربات البّر والإحسان أنشأت سنة «656هـ/1258م» المدرسة المرشدية على نهر يزيد بالصالحية، جوار دار في الحديث الأشرفية بدمشق وهي المدارس التي بقيت إلاّ أنّ داخلها متهدم[4].

–والدّماؤة بنت يوسف بن عمر بن علي بن رسول بنت مدرسة في مدينة زبيد تسمى الاشرفية وهي واقعة في جنوبي مسجد الميلين ووقفت عليهما أوقافًا عظيمة وتوفيت في منتصف محرم سنة «718هـ /1318م»[5] .

من ربات البّر والإحسان **بابا خاتون بنت أسد الدّين شيركوه** من أثارها المدرسة العادلية الصغرى[1]، وهي معروفة وأصل إنشاءها أنّ بابا خاتون كانت اشترت دار وحمّام وقرية ... ثمّ بعدها بنت عمّها.[2]

---

[1] محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص 66.

[2] محمد راغب الطبّاخ الحلبي، المصدر السابق، ص 131.

[3] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 2، ص 197.

[4]، المصدر نفسه، ج 1، ص 346-403.

[5] المصدر نفسه، ج 1، ص 403.

[1] المدرسة العادلية الصغرى: أنشأتها زهرة خاتون بنت الملك العادل سيف الدّين أبي بكر بن أيوب ثمّ ملكة خاتون زهرة لابنة عمي أبيها الخاتون بابا خاتون أساد الدّين شيركوه، الدّار المذكورة وشرطت للمدرسة، مدرّس ومعيد وإمام ومؤذن وبوّاب وعشرين فقيهًا(انظر كتاب عبد القادر النعيمي، المصدر السابق، ج 1، ص 279).

[2] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 1، ص 125.

وزهرة خاتون بنت الملك العادل مشترطة عليها أن تكون الدّار مدرسة ومدفنًا ومواضع للسكن، وذلك سنة «655هـ /1257م» [1].

–وأمة اللطيف بنت عبد الرحمان «ت640هـ /1242م» حيث نعتت بالعالمة، والفاضلة، صاحبة التصنيف وأنشأت دارًا للحديث كانت تدرس فيها [2].

2– المساجد والجوامع:

المسجد بكسر الجيم وهو البيت الذي يسجد فيه وكل موضع يُتعبد فيه فهو مسجد ويقال مسجد الجامع أي المسجد اليوم جامع، فالمسجد قد يكون صغير المساحة والحجم، والجامع مسجد عظيم يجمع المصلّين أيام الجمع والأعياد[3].

والجوامع هي مكاتب لإقراء الأيتام المسلمين القرآن الكريم وكان يعتني عناية فائقة باختيار من يقوم بالتدريس في الجوامع، حيث أنّها المكان المعدّ للاستقبال مختلف طبقات الشعب لأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة والاستماع إلى الخطب والأحاديث الدينية والتهذيبية[4]، ويظهر لنا أنّها ظلت للعبادة وتلقي القرآن وعلومه والحديث وفنونه وعلم اللغة وتفرعاته، وما يتعلق بذلك كله من المطالب التي فيها قيام أمرهم وخدمة دينهم [5].

يستفاد من كل ذلك أنّ هذه المساجد لعبت دورًا مهمًا في خدمة الأهداف الدينية لا يقل بأي حال من الأحوال عمّا قدمته الجوامع سبق أن أشرنا إليه وعلى ذلك أنّ كل من الجوامع والمساجد أسهمت إسهامًا لا ينكر فضله في بناء صريح الحياة التعليمية والدينية في بلاد الشّام .

و من النّساء اللاتي ساهمنّ في بناء المساجد والجوامع نذكر:

–من ربات النفوذ والسلطان مسكه جارية الملك النّاصر وصارت قهرمانة لبيت السلطان[1].

---

[1] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 1، ص 125.

[2] حسن آل سلمان، المرجع السابق، ص 97-98.

[3] محمد كرد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 45.

[4] زكي النّقاش، المرجع السابق، ص 57.

[5] محمد كرد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 66.

[1] ثامر تلمان مصطاف، المرجع السابق، ص 94-96.

وقد طال عمرها وصارت لها أموال جمّة وسعدت حالها وضعت برًا ومعروفًا واشتهرت وذاع صيتها ومن مآثرها الجامع الذي أنشأته بخط الحنفي بمصر له بابان منقوش بأعلى أحدهما بالرّخام«**بسم الله الرحمان الرحيم أمرت بإنشاء هذا المسجد المبارك إلى الله الحاجة إلى بيت الله الدائرة إلى قبر الرسول صلّى الله عليه وسلّم وآله»، الست الرفيعة مسكه** سنة «746هـ/1345م» ودفنت في جامعها المذكور[1] .

–وآمنة بنت أحمد المصري الأرمنازي من ربات البر و الإحسان، وقفت على مسجد سيتا داخل باب الفرج بحلب داراً في سنة «642هـ/1244م» [2].

–وفاطمة خاتون «ت656هـ/1258م» آثارها بحلب الخانكاه[3] الكاملية قال أبو ذرة هذه الخانكاه أنشّأتها الصاحبة **فاطمة خاتون بنت الملك الكامل، محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب،** على الفقيرات المقيمات بها وإظهار الصلوات الخمس بها، والمبيت بها ووقفت بها من جبل سمعان بنظر إدريس بن محمد، وتوفيت فاطمة خاتون سنة«656هـ/1258م»[4] .

–ودار الدماوءة بنت يوسف بن عمر بن علي بن رسول أميرة من ربات البر والإحسان ذكرت سابقًا، شيّدت بمدينة تعز مسجدًا في جبل صبر[5].

ونلاحظ في هذا الجانب أنّ هناك نسبة قليلة النّساء اللاتي اشتهرن بتشيّيدهنّ للمساجد .

3 – الأربطة والخوانق:

الرباط :وتُجمع على رُبط، وهو المكان المخصص للعبادة والعزلة في العواصم للرجال والنّساء على حدّ سواء، وأنّ اسمه غلب على النّساء[1].

---

[1] ثامر تلمان مصطاف، المرجع السابق، ص 94-96.

[2] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 1،ص 8

[3] الخانكاه: والخان بمعنى الملك وتطلق الخاتون على الأميرة والملكة(انظر مجلة رائد عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 1303هـ-1310هـ).

[4] محمد راغب الطبّاخ الحلبي، المصدر السابق، ص 417.

[5] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 1، ص 403.

[1] قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي، وزارة الثقافة دمشق سوريا، د ط، 1999، ج 1، ص 318.

أمّا الخوانق: فقال عليها المقريزي: أنّه حدث عملها في الإسلام خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي وهي بيوت أعدّها الصوفية لكي يخلوا فيها عبادة الله تعالى بكل ماتحمله تلك الكلمة من معنى وهذا هو المعروف والمعتمد وأول ما يتبادر إلى الذهن أنّ الخوانق جاءت محاكية لبيوت الرهبنة عند اليهود والنّصارى، وتعتبر الخوانق من المؤسسات الدينية التي تميل إلى الجمع بين عناصر المعمار المدني والديني[1].ومن بينهنّ نذكر:

وفاطمة خطليجي من ربات البر والإحسان أنشأت خانقاه القصاعية بالقصاعين أو بسوق مدحت باشا بدمشق اليوم خرّبت اليوم ولم يبقى لها عين ولا أثر[2]، رباط فاطمة بنت محمد بن الحسين تجتمع فيه الزاهدات «ت 521هـ /1127م»[3].

إضافةً إلى **رباط السيدة زمرد خاتون**«ت599هـ /1203م»وكان يوجد به كتب نفيسة يقصدها أهل العلم للمناظرة والبحث ، وكذلك **رباط السيدة بابا بشير** وهو رباط للنّساء شملته برعايتها باالأوقاف[4].

[1] أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص 30-31.

[2] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج4، ص 52.

[3] المصدر نفسه، ج 2، ص 349.

[4] محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص 53-75.

3 – المؤلفات والآثار الفكرية:

برزت في بلاد الشّام خلال القرن 7هـ /13م عدد غير قليل من النسوة اللاتي برعن في التأليف وقد تركنّ آثارًا على الصعيد العلمي لذا ارتأينا أن نسلط الضوء على مكانة المرأة في تلك الحقبة فنذكر على سبيل المثال: السيدة الجليلة.

-و**زينب بنت الكمال** «646هـ /1248م»«ت740هـ /1339م» تفردت بأجزاء كثيرة بالسماع والإجازة وروت شيئًا كثير من الكتب والأجزاء وتكاثر عليها الطلبة، نذكر من كتبها "**الأحاديث الموافقات العوالي**" [1].

-وزينب بنت الأمير فخر الدّين«**ت**596هـ /1099 **م**» من مروياتها "**جزء أبي الجهم**" سمعته هي وأخوها علي،"**ثلاثيات البخاري**"،وسماعها لجميع "**الصحيح**"[2] .

-وستيتة بنت الإمام شيخ الإسلام تقي الدّين الشيخة الأصيلة المسندة الكاتبة «ت776هـ /1374**م**» وهي والدة قاضي القضاة سري الدّين أبو الحسن علي[3].

-و**بنت الخطيب يحيى بن العلاّمة الشيخ عز الدّين عبد العزيز بن عبد السلام الدّمشقي** «648هـ /1250م» تفردت برواية "المعجم الصغير للطبراني" وغير ذلك وكان فيها خير وعبادة[4]،وحب للرواية بحيث أنّها روت أجزاء يوم وموتها «ت733هـ /1332م» في ذي القعدة ودفنت بمقبرة باب الصغير[5] .

-وخديجة بنت يوسف بن غنيمة العالمة الفاضلة أمة العزيز«ت 699هـ /1299م» عالمة كاتبة روت الكثير عن أبي الكتبي ومكرم طائفة وقرأت النحو وجودت الخط على جماعة **وسمع** عليها[1].

---

[1] زينب بنت الكمال، المصدر السابق، ص 11-12-13.

[2] ابن حجر العسقلاني، معجم المؤسس للمعجم المفهرس، المصدر السابق، ص 596.

[3] الحافظ ولي الدّين العراقي، المصدر السابق، ج 1، ص 399.

[4] الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ص 408.

[5] المصدر نفسه، ص 409.

[1] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 1، ص 345-346.

"**رسالة السكوت**" وغيرها بسماعها من مكرم وكريمة «681هـ /1282م» وقرئ عليها بمنزلها بدمشق «699هـ /1299م» من كتاب البعث الأبي بكر بن أبي داود[1] .

–وزينب بنت الأمير فخر الدّين عثمان بن محمد بن الشمس لؤلؤ الدّمشقية حلبية الأصل من مروياتها "جزء أبي جهل" سمعته هي وأخوها علي، "ثلاثيات البخاري" على الحجاز ثمّ وجد سماعها بجميع "الصحيح"« ت800هـ /1397م»[2] .

–وخديجة بنت أبي بكر بن يوسف بن عبد القادر بن يوسف بن مسعود بن سعد الله **الخليلية**«ت801هـ /1398م» من مروياتها "طرق زرغيبا تزدد حبًا "[3] .

–وست الوزراء بنت عمر بن أسعد التنوخية الدّمشقية «624هـ–716هـ/1226م– 1316م»حدّثت بدمشق ومصر، سمعت من والدها جزأين وهي آخر من حدّث بالمسند[4] .

–وصفية بنت المرتضى بن المفضل عالمة فاضلة ذات شرف عظيم ونسب رفيع تزوجت السيد محمد بن يحيى القاسمي وكان عالما محققًا في علم الكلام فاستفادت منه كما استفاد منها في العلوم العربية «ت771هـ /1369م»[5].

–وزينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرّانية بنت أخي الشيخ تقي الدّين بن تيمية أحضرت على الحجاز وأجاز لها القاسم بن عساكر وغيره وأجازت لابن حجر غير مرة منها: "مسند عمر بن الخطّاب رضي الله عنه" «ت799هـ /1396م» في جمادى الأولى[6] .

–وفاطمة بنت إبراهيم بن داوود بن نصر الهكّاري «683هـ–758هـ /1284م–1356م»وكانت محدّثة وعالمة وفقيهة[1] .

---

[1] عمر رضا كحّالة المصدر السابق، ج 1، ص 345-346-402.

[2] ابن حجر العسقلاني، المعجم المؤسس للمعجم المفهرس، المصدر السابق، مج 1، ص 595-596-598.

[3] المصدر نفسه، ص 598.

[4] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 3، ص 173.

[5] المصدر نفسه، ج 2، ص 349.

[6] ابن حجر العسقلاني، المعجم المؤسس، المصدر السابق، ج 1، ص 588.

[1] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 4، ص 24.

وأحضرت على "الفخر" مشيخته[1].وحدّثت بها عنه[2].

–وعائشة بنت علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن إبي الفتح بن هاشم أمّ عبد الله وأمّ الفضل المدعوة ست العيش،«761هـ /1359م» قرأت على جدّها القرآن وتعلمت الخط وحدّثت سمع عليها الأئمة وخرّج لها الزّين رضوان جزءًا فيه عشريات وتسعيات، وذكرها شيخنا في معجمه وبيّن بعض مروياتها، وقال في أبنائه أكثر عنها الطلبة وكانت خيّرة وتكتب خطًا جيّدًا، كانت راوية لكثير من الأشعار وقد حجت وزارت مع والدها بيت المقدس[3].

وخلاصة عامة لهذا المبحث فإنّنا: نستنتج ممّا سبق أنّ المرأة ساهمت بدور كبير في إثراء الحياة العلمية فاشتهرت منهنّ العديد من العالمات اللاتي ذاع صيتهنّ وقصدهنّ الطلبة من كل صوب للأخذ عنهنّ أمثال: **البرزالي**«665هـ-739هـ /1267م-1383م»**وابن رافع** «704هـ-774هـ /1302م-1372م» **والذهبي** «673هـ /1274م»**والمزي**«654هـ-742هـ /1256م-1341م».

نذكر منهنّ **ست الوزراء**«624**هـ-**716**هـ** /1226م-1316م»**وست العرب** «ت767هـ /1365م» **وعائشة بنت إبراهيم** بن الصدّيق «661هـ-741هـ /1262م-1340م».

وقد ساهمت المرأة في بلاد الشّام بدعم الحركة العلمية في هذه الفترة وذلك ببنائها المراكز العلمية كالمدارس مثل المدرسة الضيائية والمساجد والجوامع .

نلاحظ أنّ المرأة اهتمت بجانب التأليف فنجدها صنفت مؤلفات هامة مثل زينب بنت الكمال «646هـ- 740هـ /1248م-1339م» الأحاديث الموافقات العوالي.وغيرها من النّساء.

كما دخلت المرأة الشّامية مجال الثقافة العامة بواسطة المكتبات التي أنشأتها غير أنّ المؤلفات قليلة بالنسبة للنّساء مقارنة بالرجال العلماء والسبب في ذلك نظرة المجتمع المشرقي للمرأة، التي كانت تحدّ من جهدها في التحصيل العلمي كالنظر إلى خارج بلاد الشّام للتعلم من العلماء واللجوء إلى بلاد الشّام من أجل التأليف والتصنيف إضافة إلى انشغال المرأة بشؤونها في البيت فلم تكن متفرغة للعلم مثل نظيرها الرجل .

---

[1] المشيخة: هي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقبهم المؤلف وأخذ عنهم أو أجازوه وإن لم يلقهم (انظر كتاب مشيخة بن الجوزي، المصدر السابق، ص 39-40.

[2] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 4، ص 24.

[3] محمد بن عبد الله الحنبلي، المصدر السابق، ص 509-510.

المبحث الثالث:

مظاهر التأثير العلمي للمرأة في بلاد الشّام خلال القرن 7هـ /13م

1-المطلب الأول :الجانب السياسي

2- المطلب الثاني :الجانب الاقتصادي والاجتماعي

3-المطلب الثالث:الجانب العلمي

لقيت المرأة الشّامية اهتمامًا متميزًا لإسهامها الفعّال في إنجاز العديد من الشؤون العلمية جنبًا إلى جنب مع الرجل.

لقوله تعالى: ﴿**لِلرِجَالِ نَصِيبٌ مِمّا اكتَسَبُوا وللِنّسَاء نَصِيبٌ مِمِّا اكتَسَبنَّ**﴾ الآية (32) النّساء.

فأصبحت المرأة تنافس الرجل في العديد من الأعمال التي كانت حكرًا على الرجل فيما سبق، ويمكن القول أنّ العمل هو ضرورة ووسيلة استطاعت المرأة من خلاله تحقيق طموحاتها وكذا الدور الذي عزّز من مكانتها خاصة في الساحة السياسية فتقلدت مناصب عليا في الدولة، وبرزت كذلك في جوانب مختلفة كالجانب الاقتصادي، بكثرة الأوقاف والصدقات وبناء المراكز العلمية من مدارس، وأربطة وخانقانا، وجوامع و مساجد ودور للعلم،كما لا ننسى قيامها بالوعظ والإرشاد وتثقيف النّساء وتنشئتهن نشأة حسنة وتربيتهنّ على الدّين الإسلامي من خلال حلقات ومجالس العلم، فكنّ يسمعنّ الحديث ويحفظنّ القرآن ويقتدين بسنّة الرسول صلّى الله عليه وسلّم، كما لا يخفى علينا بروزهنّ في الجانب العلمي فقد تلقّى على أيديهنّ كبار العلماء والمشايخ والمؤرخين مثل **ابن حجر العسقلاني**«ت852هـ/1448م»،**الذهبي**«748هـ/1347م»**بن شدّاد**«ت632هـ/1234م» ، **البرزالي**«ت739هـ/1338م» ، **ابن رافع**«ت774هـ/1372م»، وغيرهم .

وما يلفت انتباهنا خلال القرن7هـ /13م أنّ نساء الشّام لم يقتصر دورهنّ على العلوم الشرعية فقط بل تعدّين ذلك إلى مجال آخر من العلوم كالأدب والشّعر، فنجدها عالمة وفقيهة ومحدّثة ومفتية وأديبة وشاعرة وكاتبة.

1-المطلب الأول :الجانب السياسي:

ومن النّساء اللاتي برزنّ في الجانب السياسي نذكر:

-الادر الكريمة جهة الطواشي شهاب الدّين صلاح، من ربات البّر والصلاح والعقل والحزم والحكم والسياسة، تولت الحكم لما غاب والدها السلطان الملك المجاهد فضبطت البلاد في عهدها ونعمت بالعدل والإحسان والأمن وكانت تحب العلماء والصُلحاء وتكرمهم وتجلهم وكانت تدور[1].

[1] عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ج 1، ص 5 .

بيوت النّاس وتتفقدهم بالعطايا الوافرة، ومن مآثرها المدرسة الكبيرة المشهورة بالصالحية في مدينة زبيد[1] ومدرسة في قرية المسلب من وادي زيد ....إلخ «ت762هـ/1360م»ودفنت بمشهدها [2].

–وأروى بنت أحمد بن جعفر الصالحية ملكة حازمة مدبرة يمانية ولدت في حراز باليمن، ونشأت في حجر أسماء بنت شهاب الصليحية، وتزوجها المكرم، وفوض إليها الأمور فاتخذت لها حصناً[3] بذي جبلة كانت تقيم به شهوراً من كل سنة وقامت بتدبير المملكة و الحروب إلى أنّ مات المكرم واستمرت هي في الحكم ترفع إليها الرقاع ويجتمع عندها الوزراء وتحكم من وراء الحجاب وكان يدعى لها على منابر اليمن [4].

–ودلشاء خاتون من ربات النفوذ والسلطان بدأ نفوذها منذ سنة«730هـ/1329م» وقربها إليه جنكيز خان ودام نفوذها حتى سنة« 750هـ/1349م »[5] .

–وتركان خاتون بنت خاجنكش من ربات النفوذ والسلطان، تزوج بها تكش بن إيل رسلان ثمّ انتقل الملك إلى السلطان محمد وراثةً عن أبيه تكش فرحلت إليه قبائل من الترك وتحكمت لهذا السبب تركان خاتون في الملك حوالي سنة«628هـ/1230م»فلم يملك السلطان إقليمًا إلاّ وأفرد لخاصتها منه ناحية جليلة، وكانت ذا مهابة ورأي فإذا رفعت إليها الظلمات تحكم فيها بالعدل والإحسان [6] وتنصف المظلوم من الظالم ولم تبالي من أنّ تقتص منه بالقتل،وإذا ورد عنها وعن السلطان توقيعان مختلفان في قضية واحدة لم تنظر إلاّ في التاريخ فيعمل على التوقيع الأخير بكافة الأقاليم "**تركان** [1].

---

[1] زبيد: واد به مدينة يقال لها الحصيب ثمّ غلب عليها اسم الوادي فلا تُعرف إلاّ به وهي مدينة مشهورة باليُمن أُحدثت في أيام المأمون يُنسب إليها جمع كثير من العلماء منهم أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي وغيرهم (انظر كتاب ياقوت الحموي ،المصدر السابق، مج 3، ص 131).

[2] عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ج 1، ص 5.

[3] المصدر نفسه، ج 1، ص 27.

[4] المصدر نفسه، ص27 .

[5] المصدر نفسه، ص 44 .

[6] المصدر نفسه، ص 169.

ملكة نساء العالمين وعلامتها اعتصمت بالله وحده وكان يكتبها بقلم غليظ"[1].

–وغازية خاتون أمّ الملك المنصور من ربات العقل والتدبير و الزهد والعبادة حفظت الملك لولدها المنصور صاحب حماة بعد وفاة زوجها الملك المظفر حتى كبر وسلمته السلطة«ت656هـ /1258م» بذي القعدة بقلعة حماه [2].

ورغم كل هذه الجهود التي قامت بها المرأة في مجال الحكم إلاّ أنّه يبقى هذا المجال حكراً على الرجل، ونجد أنها لقيت معارضة من طرف المجتمع خاصة وأنّ هذا الأمر منبوذ في الإسلام[3].

وقد شغلت بعض النّساء الشّاميات وظائف رئيسية فكانت **سَتى زرين** مقربة للسلطان، حيث بلغت منصب الحجابة[4] في القصر، وقد عهد إليها بتبليغ رسائله إلى القصر، ونجد أنّ المرأة المغولية تمتعت بنفوذ كبير في بلاد الشّام خاصة سنة «635هـ/ 1241م»[5].

اتفق الأمراء إلى إسناد حكم الإمبراطورية المغولية إلى زوجة السلطان **توراكينا خاتون**، وظلّت هذه المرأة تحكم ثلاث سنين وبعدها جاء أولادها، وبرزت امرأة أخرى وهي **فاطمة خاتون** التي وقعت أسيرة في أيدي المغول حيث أعجبوا بذكائها ودهائها واتخذت مستشارة و ازداد نفوذها وتقربت.[6] إلى ابن جنكيز خان الذي رفع من مكانتها[7] ،وقد رفض بعض الأمراء الشّاميين ،الحكم للمرأة وإدارة بعض الشؤون العامة للبلاد، أما المصريون فلا يرون عيباً في حكم المرأة جنبًا إلى جنب مع الرجل طوال زمن تاريخهم فلم يعجب الشاميون من ذلك الأمر[1] .

---

[1] عمر رضا كحالة، المصدر السابق، ج 1، ص169.

[2] المصدر نفسه، ج 4، ص 3 .

[3] عصام الدين عبد الرءوف الفقي، الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي القاهرة، د ط، 1420هـ/1999م ص 280.

[4] الحجابة: ظهرت الحجابة وازداد نفوذ الحاجب مع الزمن وكذلك خطورة مهمته أيام العبّاسيين وأصبح يستشار في كثير من أمور الدولة بحكم قربه من الخليفة(انظر كتاب إبراهيم أيوب، التاريخ العبّاسي السياسي والحضاري، دار الكتاب العالمي، بيروت لبنان، ط 1، 1989م، ص 218).

[5] عصام الدّين عبد الرءوف الفقي، المرجع السابق، ص 280.

[6] المرجع نفسه، ص 280.

[7] المرجع نفسه ص 280.

[1] نور عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية تاريخ مصر الإسلامية السياسي، دار الفكر العربي، د ب، د ط، 1418هـ–1997، ص 120.

ويذكر المؤرخون أنّ الخليفة العباسي "**المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله**"«640هـ/1242م» وقتذاك عاتب أهل مصر في ذلك وقال لهم:« إن كانت الرجال قد عدمت عندكم، فأعلمونا حتى نُسّير إليكم رجالاً »[1] ،ومن المعارضين أيضًا في هذا الأمر الأيوبيون في الشّام حيث رفضوا الاعتراف "**بشجرة الدّر**" وهي ملكة مصر التي كانت من أعظم الملكات في تلك الفترة وشاعت بين الحكّام[2].

[1] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص 120.

[2] المرجع نفسه، ص 121.

-المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي والاجتماعي:

أ) الجانب الاقتصادي.

شاهد بعض الرّحالة الجغرافيين لبلاد الشّام النّساء يشاركنّ أزواجهنّ في أعمالهم اليومية في الزراعة وصناعة الآلات والسكاكين والمقصاة، وهذا دليل على أنّ المرأة كانت تمارس العديد من الأعمال إلى جانب الرجل[1] .

وعلى هذا ساهمت المرأة في العديد من الأعمال الخيرية التي تعكس مكانتها في المجتمع حيث قامت بوقف العديد من المساجد التي كانت دور للعلم والعبادة ومجالس الذكر وتعليم الأطفال القرآن الكريم وأيضًا المدارس التي كانت بمثابة الأمّ المربية ،أمّا الحديث عن البساتين والدكاكين فقد كان يُنتفع بها النّاس خاصة الفقراء منهم، وأيضًا الطرق والمقابر ، ومن بينهنّ نذكر:

-وسفرة بنت محمود البارودي من ربات البّر والإحسان، حيث وقفت سنة «768هـ /1366م» "المدرسة البار ودية" بباب الناظر بالقرب من القدس وهي اليوم دار سكن[2].

-وآسية بنت إسماعيل الأعظمي من ربات البّر والإحسان، وقفت رُبعًا إلاّ عشرًا من جميع بستان الحاجّ رجب في قصبة الإمام الأعظم على نفسها ومن بعدها على الفقراء والمساكين والأرامل، والأيتام وطلبة العلم، ونذكر أيضًا **آسية بنت محمد** من ربات البّر والإحسان وقفت الدّكاكين الثلاثة الواقعة في سوق خرطوم الفيل في بغداد على قراءة القرآن الكريم ببغداد ، وكذلك نذكر ممن ساهمنّ في الوقف **خطلجة بنت إبراهيم** من ربّات البّر والإحسان وقفت في أواخر القرن 6هـ /12م تقريبًا العديد من الطرق والمساجد ومقابر[1].**-الجهة الكريمة ماء السماء بنت السلطان الملك المظفر[2] يوسف بن عمر** الرسولي أميرة محسنة لها من الآثار "المدرسة الواثقية" في زبيد حيث أنفقت على بنائها [3].

---

[1] عصام الدّين عبد الرءوف الفقّي، المرجع السابق، ص 282.

[2] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 2، ص 197.

[1] المرجع نفسه، ج 1، ص 6-7-353.

[2] الملك الأشرف المظفّر موسى بن العادل باني دار الحديث سنة 643هـ ودرّس فيها جملة من العلماء، أخذها المجمع العربي من الأوقاف(انظر كتاب محمد كرد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 72).

[3] خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس التراجم، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط 7، 1413هـ-1995م مج 5، ص 252.

مَبلغا طائلا ووقفت عليها أوقافًا صالحة من أملاكها ، توفيت في قرية "التربية" من قرى وادي زبيد«ت 724هـ /1324م»[1].

–وفاطمة بنت سليمان «620هـ-708هـ /1223م-1307م»**وهي بنت سليمان بن عبد الكريم** الأنصاري فهي إضافة إلى كونها عابدة وعالمة بالحديث، ساهمت هي الأخرى في المجال الخيري وذلك بوقف العديد من المدارس و التكايا، حيث كانت لها ثروة كبيرة، توفيت في دمشق[2].

كما لا ننسى العالمة الفاضلة **زمرد بنت جاولي**«ت 557هـ /1161م» (وقد سبق ذكرها) التي شيدت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق، حيث أوقفت عليها أوقافًا كثيرة، وأيضًا **ست الشّام بنت أيوب**«ت616هـ /1219م» التي كانت لها أوقافًا كثيرة على مدارسها مثل المدرسة الشّامية[3] بدمشق[4].

وأيضًا نذكر **السيدة خاتون** حيث قال "الذهبي في العبر":في سنة «581هـ /1185م» أوقفت **عصمة الدّين لخاتون** بنت الأمير معين الدّين زوجة نور الدّين مدرسة بدمشق وأيضًا الخانقاه الذي شمالي جامع تنكز[5]، وأيضًا لها تربة بجوار هذا الجامع«542هـ 1147»[1].

كما نذكر "المدرسة الخاتونية" الواقعة بمحلة حجر الذهب قرب البيمارستان النّوري أنشئتها **خاتون ابنة سعيد الدّين وزوجة نور الدّين** الشهيد ووقفها أخوه سعد الدّين عليها وممن درّس بها ابن شدّاد«632هـ/1234م» وغيرهم من العلماء، إضافة إلى "المدرسة الفرخشاهية"عرفت بهذا الاسم لمعز الدّين فرخشاه ووقفتها السيدة حظّ الخير خاتون ابنة إبراهيم بن عبد الله سنة« 578هـ /1182م»[2].

---

[1] الزركلي، المصدر السابق، مج5، ص 252.

[2] المصدر نفسه، ص 131.

[3] المدرسة الشّامية: وهي تسمى بالمدرسة الحسامية نسبة إلى ابنها حسام الدّين الذي دفن بها، حيث درّس بها العديد من مشاهير العلماء والفقهاء وهما نوعين المدرسة الشامية البرّانية والمدرسة الشامية الجوانية (انظر كتاب محمد كرد علي، خطط الشّام، المرجع السابق، ج 6، ص 79).

[4] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 2، ص 37-38-115.

[5] تنكز: نائب الشّام شرع في عمارة الجامع المعروف باسمه سنة 717هـ، حيث تردّد على الجامع العديد من العلماء والقضاة(انظر كتاب عبد القادر النعيمي، المصدر السابق، ج 1، ص 324-325)

[1] ابن طولون، المصدر السابق، ص 24.

[2] محمد كرد علي، المرجع السابق، ج 6، ص90.

وإلى جانب هذه الأوقاف المختلفة والمتنوعة لا ننسى أيضًا وقف الأتربة التي حافظت على مكان دفن أموات المسلمين و التعرف عليهم مثل:

"التربة[1] الحافظية"، قال بن كثير في سنة «648هـ/ 1250م» كانت وفاة **الخاتون أراغون الحافظية** حيث سميت بالحافظية لخدمتها وتربتها للحافظ كانت امرأة عاقلة مدبّرة ولها أموال جزيلة عظيمة، وقد وقفت دارها بدمشق على خدّامها واشترت بستان "النّجيب ياقوت" الذي كان خادمًا وجعلت فيه تربة ومسجد ووقفت عليهما أوقافًا جيّدة [2].

نلاحظ أنّ المرأة في الجانب الاقتصادي لم يكن لها دور كبير خاصةً وأنها اهتمت بالوقف فقط دون الأعمال الأخرى .

ب) الجانب الاجتماعي:

كان هناك نساءٌ شاميات اشتهرنّ بالعبادة والوعظ والإرشاد، فكنّ يتوافدون عليهنّ فبرزت حركة نسائية تقوم بهذه الأعمال الجليلة والخيّرة، إضافة إلى احتكاكهن بالسلاطين والأمراء المغول حيث كانت هناك مصاهرة بينهم وبذلك أسلم العديد منهم على أيديهنّ من بينهن نذكر:

-و**مسكه** جارية الملك الناصر من ربات النفوذ والسلطان حتى صار يقتدي بها في عمل الأعراس [3].

السلطانية والمهمات الجليلة التي تعمل في الأعياد والمواسم وترتيب شؤون الحريم السلطاني، وتربية أولاد السلطان، وقد طال عمرها وصارت لها أموال جمة وسعدت حالها وصنعت برًا ومعروفًا واشتهرت وذاع صيتها وانتشر [1].

-وست الفقهاء بنت يوسف بن محمد «640هـ/1242م» كانت صالحة صوّامة تحفظ أحاديث وحكايات وتوردها على النّساء [2].

---

[1] التربة: هو مكان دفن الموتى، أو المدفن الخاص الذي يعلوه طربال وهو القبة العظيمة(انظر كتاب محمد أحمد دهمان، ص 19).

[2] عبد القادر النعيمي، المصدر السابق، ص 190 .

[3] ثامر تلمان مصطاف، المرجع السابق، ص 94 .

[1] المرجع نفسه، ص 94 .

[2] شمس الدين الذهبي، معجم شيوخ الذهبي، المصدر السابق، ص 234.

–وهدية بنت عبد الحميد بن محمد بن سعد المقدسية،امرأة صالحة خيّرة«ت699هـ /1299م» في ربيع الآخر[1].

–والست ستيت زوجة تنكز نائب الشّام أنشأت مسجد وفي جانبه الغربي رباط للنّساء ومكتب أيضًا للنّساء وفيها صدقات وبر وصلاة وقرّاء كل ذلك أمرت به وكانت قد حجت ودفنت بدمشق وأَمرت قبل موتها أن يُعمل لها قبة على الضريح وفي جواره مسجد ورباط للنساء رحمها الله [2].

–وفاطمة خاتون «ت656هـ/1258م» وقد سبق ذكرها أنشأت خانكاه وكانت للفقيرات المقيمات بها، وإظهار الصلوات الخمس والمبيت بها، وتقع هذه الخانكاه أمام مدفن بني الحلبي وهي الآن خراب وأنقاضها مكومة، وفيها الآن ثلاث حجر صغيرة مشرفة على الخراب يسكنها بعض الفقراء ويظهر من وضعيتها أنّ الجيران قد انتقصوا من أطرافها الثلاثة ولم يزل الكثير من أحجارها الكبيرة وقواعدها العظيمة ملقى في أرضها[3]، وكذلك نذكر **السيدة بنفشه** التي عرفت بكثرة الصدقات للفقراء والمساكين وإنشائها للمؤسسات الخيرية التي كان يُنتفع بها النّاس[4] .

–وطُغاي أم أنوك زوجة النّاصر«ت 749هـ/1348م» كانت عفيفة كريمة إلى أن ماتت، وقد بلغ عدد معتقاتها من الجواري ألف نسمة ومن الخدم ثمانين، حيث كان زوجها السلطان النّاصر محبًا لها[1]، ومن النّساء العابدات **أم اليمن بنت محلّى البطوئي الزنّاتي** من ربات العقل والرأي والبّر والإحسان والعبادة والصلاح، كانت تصوم النّهار وتقوم بالليل وتوفيت«647هـ/1247م» .

ومن النّساء المتصدقات **يَلقطو بنت بغا** من ربات البّر والإحسان حجت سنة «723هـ/1323م» وتصدقت في الحرمين بثلاثين ألف دينار، وتصدقت في طريقها إلى دمشق صدقات عظيمة ولما دخلت المدينة تلقّاها "تنكز" وبالغ في إكرامها وخطبها لأفرم وهو نائب دمشق فنهرت رسله[2].

---

[1] شمس الدّين الذهبي، معجم الشيوخ، المصدر السابق، ص 234.

[2] عبد القادر النعيمي، المصدر السابق، ص 211-212 .

[3] محمد راغب الطبّاخ الحلبي، المصدر السابق، ج 4، ص 417.

[4] محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص 53.

[1] ثامر تلمان مصطاف، المرجع السابق، ص 31-32.

[2] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 5، ص299-300.

وامتنعت بعد أن كان قد بذل لها حمص وبلادها مهرًا «ت8هـ/14م»[1]،**لخاتون المنعوتة بعصمة الدّين** في عصمة نور الدّين فلمّا توفي رحمه الله أقامت في منزلها .في دمشق في القلعة مستقلة بأمرها ونهيها صادقة في إخراج الصدقات صالحة في الاستكثار من الأعمال الصالحات[2] .

أمّا عن الزواج للمرأة الشامية من بعض السلاطين، فقد كان له وجه خاص إذ كانت تُنفق أموالًا طائلة على العرس من هدايا للعروس، فعلى سبيل المثال نذكر: لمّا تزوجت السيّدة **تركان خاتون** من

الخليفة العبّاسي المقتدي في بغداد أنفق في حفل عرسها قناطير مقنطرة من الذهب والفضّة فنقل جهاز العروس على مائة وثلاثين جملًا مزينة بالديباج ولم توفق تركان خاتون في زواجها فقد أعرض عنها الخليفة لأنّ القصر مليئ بالجواري من كل جنس، حيث ماتت همًا وحزنًا[3] .

أمّا عن تأثير المرأة في سلاطين المغول فيُذكر أنّه لمّا اجتاح المغول بلاد الشّام كان هناك من القوّاد والأمراء المغول من تزوجوا الشاميات المسلمات فتحوّل بذلك كثير من الأمراء إلى الإسلام قبل أن يصبح هذا الدّين هو الدّين الرسمي للمغول، وذكر المؤرخون أنّه لمّا أسر الملك جنكيزخان نساء المسلمين تزوج ابنه واحدة منهنّ وبعض الأمراء الآخرون، وقد أصبح البلاط المغولي يموج بالعديد من النّساء المسلمات اللاتي كان لهنّ تأثير كبير على رجال البلاط، وبذلك أسلم الكثير من قادة المغول، حيث نذكر على سبيل المثال القائد "أولجايتو خان" الذي كانت له زوجات مسلمات وقد اعتنق الإسلام وتسمّى باسم السلطان "محمد خدا بنده" حكم «703هـ-716هـ/1303م-1316م» وكان هذا كله من تأثير زوجته المسلمة وأصبحوا على الزواج من بنات الملوك المسلمين وهكذا أصبح البيت المغولي يَعجّ بالمسلمات وبذلك أصبحت الأم مسلم والأب مسلم، وعمل هذا الجيل على تقوية الروابط بينهم وبين الحكّام المسلمين في البلاد الأخرى[1] .

---

[1] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 5، ص 299.

[2] سنا البرق الشامي، اختصار الفتح بن علي البزّاري للعماد الكاتب الأصفهاني، تح فتيحة البزّاوي، مكتبة الخانجي بمصر، د ط، 1979، ص 113.

[3] عصام الدّين عبد الرءوف الفقّي، المرجع السابق، ص 284.

[1] رجب محمد عبد الحليم، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، دب، د ط، د ت، ص 66-67-68.

ومن أهم المجالس الاجتماعية في مدن الشّام مجالس الوعظ والقصص المؤثرة في نفوس العوام والنّساء وتدور هذه القصص حول الأنبياء والصالحين وأهوال يوم القيامة والحديث عن الزهد وعن محن آل بيت الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وقد انتشرت في بلاد الشّام الكثير من الحمامات التي كان يقصدها الرّجال والنّساء، وكنّ يجدنّ تسلية كبيرة يوم ذهابهن إلى الحمّام، فمن ناحية يجتمعنّ للحديث ورواية الأخبار ومن جهة أخرى تختار النّساء من البنات من يلاءم أولادهنّ الشباب للزواج إضافة إلى أنّ الحمّام مكان للنظافة[1] .

3–المطلب الثالث: الجانب العلمي

إنّ المكانة العالية التي توصّلت إليها المرأة في بلاد الشّام خلال القرن 7ه /13م جعلتها تساهم في بناء مجتمع راقي من خلال تأثيراتها العلمية وخاصة العلوم الفقهية وغيرها ، وبذلك بلغت ذروة مجدها في هذه الفترة، فبرعت في التصنيف والمؤلفات والرواية والسماع على يد المشايخ والعلماء وايجازتها للكثير منهم، ومن هؤلاء النسوة :

–فاطمة التنوخية «710ه–778ه /1310م–1386م»بنت محمد بن أحمد التنّوخية،خاتمة المسندين في دمشق، كانت عالمة بالحديث أخذ عنها جماعة منهم الحافظ بن حجر العسقلاني «ت852ه 1448»[2].

–والمقدسية فاطمة بنت محمد بن عبد الهادي المقدسية الصالحية، أمّ يوسف «719ه–803ه /1319م–1401م»عالمة بالحديث أصلها من بيت المقدس، اشتهرت في صالحية[1] دمشق وتوفيت بها حدّثت بالكثير وأجاز لها علماء من دمشق ومصر وحلب وحماه وحمص وغيرها[2].

[1] عصام الدّين عبد الرءوف الفقي، المرجع السابق، ص 285–287.

[2] خير الدّين الزركلي، المصدر السابق، مج 5، ص 132.

[1] الصالحية: اختلف في اسمها فقيل لكونها في سفح جبل قاسيون وهو معروف بجبل الصالحين، وقيل لصلاح من كان بانيها (انظر كتاب ابن طولون، المصدر السابق، ص 24).

[2] خير الدّين الزركلي، المصدر السابق، مج 5، ص 132.

–وعين الشمس بنت أحمد بن أبي الفرج أمّ النّور الثقافية الإصباهنية، مسندة وقتها[1].

«ت 610هـ /1213م» تفردت في الدنيا بالرواية عن إسماعيل بن الاخشيد ومحمد بن علي بن أبي ذر الصالحاني سمعت منه جزء أبي الشيخ ولها مرويات كثيرة منها **"الدّيات" لإبن أبي العاصم و"التوبة" و"عوالي القباب" و"أحاديث بكر بن بكّار"**[2] .

وسلجوقة خاتون « ت584هـ /1188م» وقد أنشأت هذه السيّدة "تربة"ولكنّها لم تُتمّها بسبب وفاتها وهي زوجة الخليفة النّاصر وأتمّها بعدها، وهي تقع بجوار رباطها إذ كانت تحتوي على خزانة للكتب النّفيسة وهذا ما يعكس لنا القيمة العلمية لهذه الخزانة، حيث كان يقصدها أهل العلم والمعرفة [3] .

وقد تعاقب عليها المتولين لها كأبي الرّشيد الملقب بالبرهان «589هـ /1193م» والشيخ عبد الله لأرمني «ت631هـ /1233م»وهذا الأخير كان يشرف على التربة، و قصدها أهل العلم لمكانتها الثقافية والعلمية[4].

–وأمّ هانئ بنت علي الهروينى كاتبة فاضلة ومحدثة ثقة ذات دين وصلاح ولدت سنة «778هـ/1376م» سمعت وحدّثت وحفظت القرآن الكريم وكتاب **"الملحّة في النّحو"** وكتبًا في الفقه، وكذلك **هاجر بنت محمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي طاعة** محدّثة فاضلة ولدت في ربيع الأول سنة«790هـ/1388م»فأضرها أبوها وأسمعها الكثير من عوالي الأجزاء والمشيخات والأربعينيات والفوائد والكتب، فحضرت وسمعت وأجازها[1] خلق كثير، توفيت بالبيمارستان[2] في 6 محرم سنة «874هـ/1469م»[3].

---

[1] حسن آل سلمان، المرجع السابق، ص 97-98.

[2] حسن آل سلمان، المرجع السابق، ص 97-98.

[3] محمد عبد العظيم أبو النصر، المرجع السابق، ص 42.

[4] المرجع نفسه، ص 42.

[1] الإجازة: عند المحدثين الإذن بالرواية لفظًا أو كتابةً أو مناولةً وأركانها المجيز والمجاز (انظر كتاب محمد أحمد دهمان، المرجع السابق، ص 12).

[2] البيمارستان: وهي كلمة فارسية تنقسم إلى قسمين "بيمار" مريض أو عليل و"ستان" بمعنى مكان أو دار، وهي بمفهومنا الحالي المستشفيات (انظر كتاب محمد عبد العظيم أبو النّصر، المرجع السابق، ص 31).

[3] عمر رضا كحّالة، المصدر السابق، ج 5، ص 200 - 203-204.

–وأمة اللطيف بنت عبد الرحمان «ت640هـ/1242م»حيث نعتت بالعالمة والفاضلة وصاحبة التصنيف "**كالتسديد في شهادة التوحيد**"، "**بر الوالدين**"، وأنشئت دارًا للحديث كانت تدرّس فيها [1].

–وفاخرة بنت عبد الله العجمي «ت697هـ/1297م» أمّ الفضل الحلبية، روت الكثير وأجازت للذهبي **«**ت748هـ/1348م**»** وذكرها في معجمه[2].

–ونخوة بنت محمد النّصيبي «ت719هـ/1319م»أمّ محمد النصيبي سمعت من يوسف بن الخليل التاسع والعاشر من "**المستخرج على صحيح البخاري**"لأبي النّعيم وتفردت بالرواية وماتت في جمادى الأولى وسمع منها الكثير.[3]

–وأصبهان عفيفة بنت أحمد بن عبد القدر الغارفانية «ت606هـ1209م» المحدّثة الفاضلة المعمّرة كان لها نشاط في تحمل الحديث وسمع منها الحافظ المقدسي[4].

–وشهدة بنت أحمد عمل الإبري الدينورية «ت574هـ /1178م» الكاتبة مسندة العراق، حدّثت بمسموعها فأخذ عنّها ابن لجوزي«510هـ-597هـ/1116م-1200م» وابن عساكر«499هـ-571هـ/1105م-1175م» وغيرهم [1].

–وزينب بنت الكمال «646هـ-740هـ/1248م-1339 م»وهي الشيخة العالمة المعمّرة، تفردت بأجزاء كثيرة ولها العديد من الكتب والأجزاء منها كتابها المشهور "الأحاديث الموافقات العوالي"وقرأ عليها الكثير من التلاميذ[2] وقد أحصي 24 تلميذًا[3]، نذكر منهم :

---

[1] حسن آل سلمان، المرجع السابق، ص 97-98.

[2] محمد راغب الطبّاخ الحلبي، المرجع السابق، ج 4، ص 489.

[3] المرجع نفسه، ص 507.

[4] عفاف عبد الغفور، المرجع السابق، ص 245.

[1] المرجع نفسه.ص245.

[2] زينب بنت الكمال المقدسية، المصدر السابق، ص 11-12.

[3] شمس الدّين الذهبي، ذيل تاريخ الإسلام، المصدر السابق، ج 1، ص 484.

الأول: علم الدّين أبومحمد القاسم بن محمد البرزالي «665هـ/1267م» .

والثاني: محمد بن عبد الوهّاب بن يوسف الأقفعسي«ت741هـ/1340م» .

والثالث: علي بن المؤيد بن حمويه الجو يني الشّافعي «ت739هـ/1838م».

والرابع: يوسف بن عبد الرحمان بن يوسف جمال الدّين المزي « 654هـ-742هـ/ 1256م-1341م»[1].

أمّا عن شيوخها نذكر:

الأولى: الشيخة حبيبة بنت أبي عمر في سنة «647هـ1249م» .

والثاني: إبراهيم بن خليل بن عبد الله المقدسي «658هـ/1259م».

والثالث:أحمد بن عبد الدّائم بن نعمة بن أحمد المقدسي «ت668هـ/1269م».

والرابع: عبد الحميد بن الهادي يوسف المقدسي الجماعي لي «ت658هـ/1259م»[2].

ونجد أنّ المرأة لم تكنفي بالسماع بل كانت مدرّسة وروى عنها الكثير من العلماء والمؤرخين ومن النّساء اللاتي سمعنّ الصحيح وشاركنّ الرجل في الرواية فاطمة بنت عبد الهادي المقدسية« 703هـ/1303م»[1].

وخلصنا من هذا البحث إلى جملة من الاستنتاجات :

-رغم النتائج التي حقّقتها المرأة في الساحة السياسية ووقوفها مع الرجل وتقلدها مناصب عليا في الدولة وهيبتها ورجاحة رأيها مع الأمراء مثل **تركان خاتون «** ت628 هـ/1230م**»** حيث كانت تحكم بالعدل والإحسان ووظيفة المستشار لفاطمة خاتون إلاّ أنّها لم تلقى تأييد سواءا من النّاحية الدّينية أو من ناحية الأمراء الشّاميين الرافضين لحكمها.

---

[1] زينب بنت الكمال، المصدر السابق، ص19.

[2] المصدر نفسه، ص 13.

[1] عفاف عبد الغفور حميد، المرجع السابق، ص 247.

-أمّا فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي فلم يكن لها دور بارز سوى وقفها لبعض المدارس والترب وربما يعود السبب في ذلك إلى إغفال العديد من المصادر لهذا الجانب .

-أمّا الجانب الاجتماعي فقد برزت نساء كثيرات اشتهرنّ بالعبادة والإرشاد والوعظ وقيامهنّ بالأعمال الخيّرة والجليلة مثل **أمّ اليمن بنت محلى** «ت647هـ/1247م»اشتهرنّ بالعبادة والصلاح ومن المتصدقات **يلقطو بنت بغا** «ت8هـ/14م» .

- كما شاع عنهنّ مجالس الوعظ والقصص ومصاهرتهنّ للمغول .

أمّا فيما يتعلق في الجانب العلمي فقد كان له الحظ الأوفر بالنسبة للنّساء فلا يخلو بيت في بلاد الشّام إلا وفيه فقيهة ومحدّثة وعالمة وامتدّ عطائهنّ في هذا المجال فقصدهنّ طلاّب العلم واخذوا عنهنّ مختلف العلوم ، وبذلك أصبح لهنّ قدم راسخة في العلم والرواية فأسهمنّ في المؤلفات والإبداع الأدبي.

خـــاتـــمـــة

خاتمـــــــــــــة :

-وفي الختام نحمد الله تعالى على توفيقه لنا في اتمام هذه الدراسة المتواضعة والموسومة ب **دور المرأة العلمي في بلاد الشّام خلال القرن «7هـ/13م»**، والتي بذلنا فيها الجهد والوقت الكثير، ولا ندّعي وفاء الغاية ولا بلوغ النهاية، غير أننا نرجو أن نكون قد أضفنا شيئاً الى المكتبة الجامعية، كما نحمده أن وفقنا للخروج بمكاسب معتبرة أوصلتنا لجملة من النتائج نوجزها في الآتي:

. تعرضت بلاد الشّام في فترة الدراسةبمجموعة هجمات الصليبيين، حيث كانت بلاد الشّام تحت الحكم الأيوبي بقيادة صلاح الدين الأيوبي وأحرز هذا الأخير العديد من الانتصارات من بينها معركة حطين الشهيرة «583هـ/1187م»واستطاع المسلمون بهذه الانتصارات تكوين جبهة متحدة كان زعيمها عماد الدين زنكي .

-أما فيما يتعلق بالجانب الديني فكانت بلاد الشّام تضم طوائف متفرقة من الشيعة والسنة .

-أما اجتماعيا فكان التمييز الطبقي إذ أنّ الطبقة الأرستقراطية هي الطبقة الحاكمة.

-ومن الناحية الاقتصادية توصلنا الى ان اهم النشاطات الاقتصادية السائدة في فترة الدراسة الزراعة والتجارة والصناعة.

-أما الجانب العلمي فإنّ كل تلك الأحداث لم تعق سير الحياة العلمية ونشاطها في بلاد الشام فالملاحظ لتلك الفترة من الدراسة يرى تنوع وكثرة المراكز العلمية والتعليمية عما سبقها من قرون وما ذلك إلا لتعرض بلاد الشّام عموماً للأخطار التي هددتها من قبل الصليبيين أولاً والتتار ثانياً، فكان لابد من الإكثار من مؤسساته العلمية والدينية لإعادة الصبغة الإسلامية عليه .

-اختلفت المصادر حول بلاد الشّام من حيث الموقع الجغرافي وامتداده إلى مصر وأصل تسميتها، فقيل الشّأم، والأرض المقدسة وسوريا ، أمّا الاسم المشهور فهو الشّام.

-اهتمام المرأة بالجانب العلمي حيث برعت في التأليف وفي العلوم الشرعية كعلم القرآن والحديث والتفسير وغيرها.

فلم يقتصر عطاء المرأة المسلمة على الإيمان بل امتدّ العطاء إلى المجال العلمي والتعليمي فظهرت الفقيهة والمحدّثة والمفتية التي يقصدها طلاّب العلم ويأخذ عنها بعض أساطين العلماء وتستفتى في بعض الأمور التي تخص عامة المسلمين، وظهر من العالمات المسلمات من تعقد مجالس العلم في كُبْرَيَات المساجد الإسلامية ويحضرها الطلاّب من أقطار مختلفة **ست العرب بنت محمد بن فخر** (ت 767 هـ / 1365 م) **و زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم** (ت 799 هـ / 1396 م) ، إضافة إلى براعتها في التأليف والتصنيف مثل **زينب بنت كمال المقدسية** لها كتاب " الأحاديث الموافقات العوالي " ، أمّا عن إسهاماتهن في المجالات الاخرى فتبين ان ارملة الشامية ولجت عالم السياسة ووقفت جنبًا إلى جنب مع الرجل اذ تولت المناصب العليا في البلاد كالقضاء والحكم، وحكمت بالعدل والإحسان مثل **ستيتة بنت الإمام شيخ الإسلام تقي الدّين** (ت776هـ /1374م)وكذا الجوانب الخيرية التي استفاد منها المسلمون وبقيت راسخة تعبّر عن مدى جهود المرأة في هذا المجال .

وفي الأخير نسأل الله عزّوجل أن يجعل مذكرتنا هذه خالصة لوجهه الكريم وينفعنا بها في حياتنا ومماتنا، وأن ينفع بها كل من يقرأها،إنّه سبحانه وليّ ذلك والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلّى الله عليه وسلّم .

الملاحق

الملحق رقم (01) -جدول يمثل النّساء الشّاميات العالمات:

الرقم	اسم المـــــــــــــرأة	سنة الوفـــــــاة	التخصـــــص
01	زينب بنت الكمال	741هـ /1340م	علم الحديث والقرآن
02	جورية بنت عبد اللطيف	780هـ /1378م	علم الحديث
03	زينب بنت الأمير فخر الدّين	800هـ /1397م	علم الحديث
04	ست الوزراء الدّمشقية	716هـ /1316م	علم الحديث
05	عائشة بنت إبراهيم	741هـ /1340م	علم الحديث
06	خاتون أمّ شمس الملوك	457هـ /1161م	علم الحديث
07	خديجة بنت أُبي بن يوسف الخليلية	801هـ /1398م	علم الحديث
08	فاطمة بنت سليمان الدّمشقية	708هـ /1308م	علم الحديث
09	خاتون أمّ السلطان المعظّم زوجة العادل .	602هـ /1205م	علم الحديث
10	فاطمة بنت أبي بكر طرخان	726هـ /1325م	علم الحديث
11	فاطمة بنت عبد الدائم	734هـ /1333م	علم الحديث
12	رقية بنت الشيخ أبي عمر	631هـ /1225م	علم الحديث
13	رابعة بنت أحمد بنت قدامه الصالحية	620هـ /1223م	علم القرآن الكريم
14	فاطمة بنت إبراهيم	747هـ /1346م	علم القرآن الكريم

15	أمّ إبراهيم بنت الخطيب	/	علم الحديث
16	أمّ المؤيّد زينب بنت أبي القاسم الشّعرية	/	علم الحديث
17	زينب بنت عبد الله الدّمشقية	780هـ /1378م	علم الحديث
18	فاطمة بنت إبراهيم	711هـ /1311م	علم الحديث
19	فاطمة بنت عبيد الله المقدسية	665هـ /1266م	علم الحديث
20	فاطمة بنت أبي البركات	724هـ /1323م	علم الحديث
21	فاطمة بنت عثمان	721هـ /1321م	علم الحديث
22	فاطمة بنت أحمد	719هـ /1319م	علم الحديث
23	أسماء بنت إبراهيم	708هـ /1308م	علم القرآن الكريم
24	أمّ القاسم	760هـ /1358م	علم الحديث
25	أسماء بنت موسى الضجاعي	/	علم الحديث
26	فاطمة بنت محمد بن الحسين	521هـ /1127م	علم الحديث
27	ست العرب بنت محمد بن الفخر	767هـ /1365م	علم الحديث
28	عائشة بنت إبراهيم بن الصديق	/	علم القرآن والحديث
29	شهدة بنت أحمد بن الفرج	574هـ /1178م	علم الحديث
30	زينب بنت العماد الدّمشقية	799هـ /1396م	علم الحديث

32	قطر النّدى بنت أبي نزار	/	علم الحديث
33	عائشة بنت عيسى المقدسية الحلبية	703هـ /1303م	علم الحديث
34	بنت عمّ الحافظ تقي الدّين	763هـ /1361م	علم الحدّيث
35	أمّ السلطان بركة بنت عبد الله	845هـ /1441م	علم الحديث
36	ربيعة خاتون	653هـ /1245م	علم الحديث
37	ست الشّام بنت أيّوب	610هـ /1213م	علم الحديث
38	ربيعة خاتون بنت أيوب	643هـ /1245م	علم الحديث
39	بنفشة بنت عبد الله التركية	598هـ /1201	علم الحديث
40	صفرة بنت محمود البارودي	/	علم الحديث
41	خديجة خاتون بنت الملك المعظّم	/	علم الحديث
42	الدَمَاوءة بنت يوسف بن عمر	718هـ /1318م	علم الحديث
43	بابا خاتون بنت أسد الدّين	/	علم الحديث
44	زهرة خاتون بنت الملك العادل	/	علم الحديث
45	أمة اللطيف بنت عبد الرحمان	640هـ /1242م	علم الحديث
46	مِسكة جارية الملك النّاصر	746هـ /1345م	علم الحديث

48	فاطمة خاتون بنت الملك الكامل	656هـ /1258م	علم الحديث
49	فاطمة خطليجي	521هـ /1127م	علم الحديث
50	ستيتة بنت تقي الدّين	756هـ /1374	علم الحديث
51	بنت الخطيب عزّ الدّين الدّمشقي	733هـ /1332م	علم الحديث
52	خديجة بنت يوسف بن غنيمة	699هـ /1299م	علم الحديث
53	صفية بنت المرتضى	771هـ /1369	علم الحديث
54	زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم	799هـ /1396م	علم الحديث
56	فاطمة بنت ابراهيم بن داوود	785هـ /1356م	علم الحديث
57	عائشة بنت علي بن محمد	/	علم الحديث
58	الأدر الكريمة جهة الطواشي	762هـ /1360م	علم الحديث
59	دلشاء خاتون	750هـ /1349م	علم الحديث
60	تركان خاتون بن خاجنكش	628هـ /1230م	علم الحديث
70	غازية خاتون	/	علم الحديث
71	قُطلع خاتون	/	علم الحديث
72	كورجين بنت مانجو	/	علم الحديث

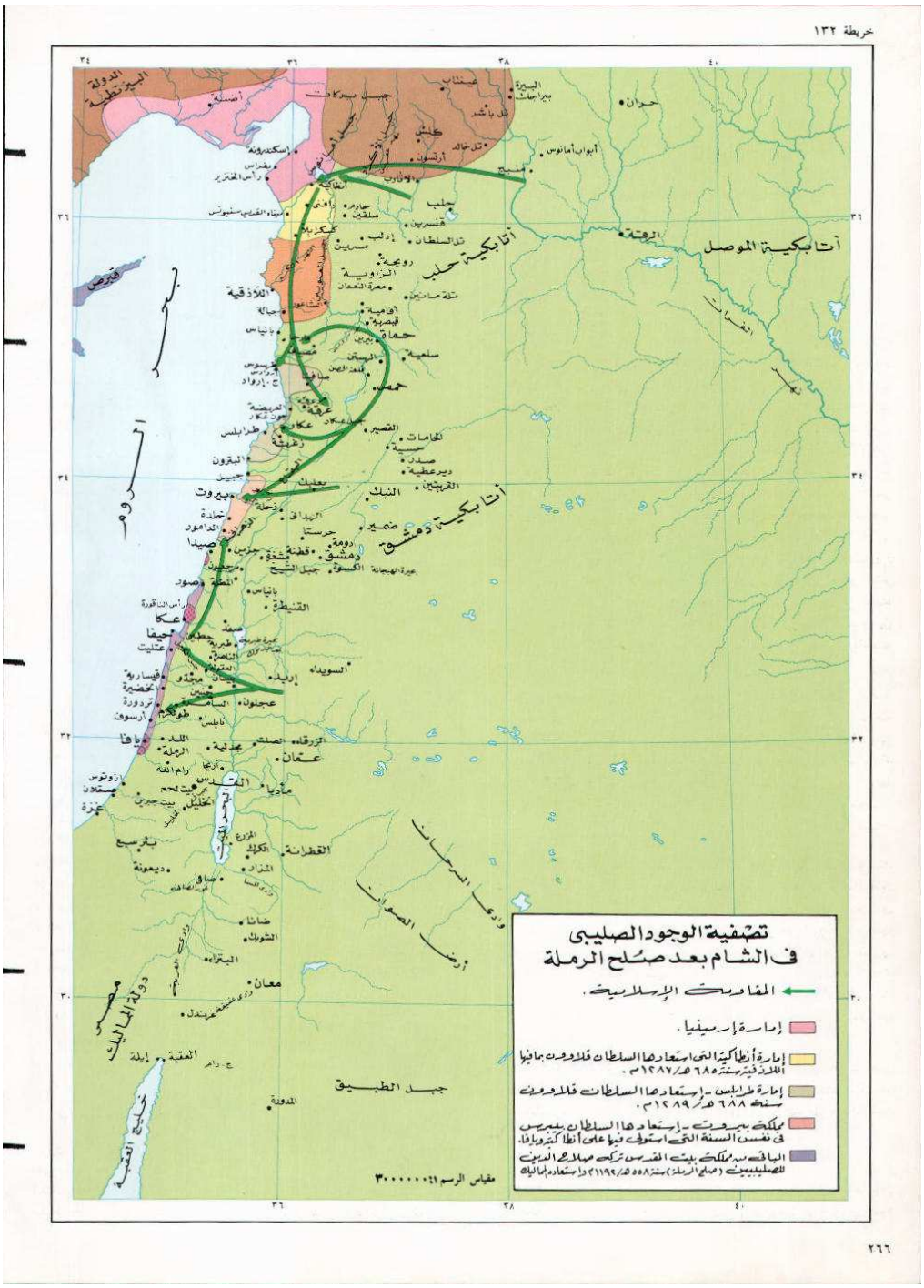
74	الجهة الكريمة ماء السماء بنت السلطان	724هـ /1324م	علم الحديث
75	عصمة الدّين خاتون	542هـ /1147م	علم الحديث
76	حظّ الخير خاتون	/	علم الحديث
77	الخاتون أراغون الحافظية	648هـ /1250م	علم الحديث
78	ست الفقهاء بنت يوسف	/	علم الحديث
79	هدية بنت عبد الحميد المقدسية	699هـ /1299م	علم الحديث
80	طُغاي أمّ أنوك زوجة النّاصر	749هـ /1348م	علم الحديث
81	أمّ اليمن بنت مُحلّى البطوئي	647هـ /1247م	علم الحديث
82	يَلقُطو بنت بَغا	ق 8هـ/ 14م	علم الحديث
83	فاطمة التنّوخية	778هـ /1386م	علم الحديث
84	فاطمة بنت محمد المقدسية	803هـ /1401م	علم الحديث
85	عين الشمس بنت أحمد الاصبهانية	610هـ /1213م	علم الحديث
86	سلجوقة خاتون	584هـ /1188م	علم الحديث
87	أمّ هاني بنت علي	/	علم القرآن والحديث
88	هاجر بنت محمد بن أبي بكر	874هـ /1469م	علم الحديث

90	نخوة بنت محمد النّصيبي	719هـ /1319م	علم الحديث
91	أصبهان عفيفة بنت أحمد	606هـ /1209م	علم الحديث

وقد ذكرنا هذا الجدول كنتيجة أو كحوصلة لأسماء هؤلاء النسوة[1].

[1] محمد كرد علي، خطط الشّام، ج 6،ص 45-66-90،وزكي النقّاش،الحروب الصليبية،ص 57،وثامر تلمان مصطفى،ص 31-32-94-96،وعمر رضا كحّالة، أعلام النساء، ج1،ص5 6-7-8-12-27-44-65-153-169-125-345-346-403،ج 2،ص 37-38-75-115-197-198-349،ج 3 ص 173،ج 4 ص 3-4- 5-24-52-173-215-266، ج 5 ص 200-203-204-299-300، ومحمد راغب الطبّاخ الحلبي، أعلام النبلاء،ج 4، ص 131-417-489-507، وقتيبة الشهابي، معجم دمشق، ج 1، ص 318، وأيمن شهين سلام، ص 30-31، ومحمد عبد العظيم، الأوقاف في بغداد، ص 42-53-66-75، وزينب بنت الكمال،الأحاديث الموافقات، ص 11-12-13-18-19، و بن حجر، المعجم المؤسس، ج 1، ص 528-588-589-595-596-598، وبن حجر الدرر،ج 1،ص 596-597، ج 3، ص 25-220-223-426-596، والحافظ العراقي، الذيل على العبر، ج 1، ص 66-399، الذهبي، الذيل، ص408- 426-469، ومعجم الشيوخ، ج 1، ص 234-484، ومحمد الحنبلي، السحب الوابلة، ص 506-509،وعصام الدّين الفقي، الدول المستقلة، ص 280-282-284-285-287،ونور عبد المنعم ماجد، الدولة الأيوبية، ص 120-121، وعبد المنعم الحميري، الروض المعطار، ص 434، و خير الدّين الزركلي، ج 5، ص 132-252،و بن طولون، القلائد الجوهرية، ص 24-221، وعبد القادر النعيمي،الدارس في تاريخ المدارس، ص190-211، وفريدة شيخي، مساهمة أسرة المقادسة، ص 55-56،و المقدسي، اختصاص القرآن، ص 08، وبن العماد، شذرات الذهب، ج 7، ص 357-358، والألباني، قاموس البدع، ص 340-341، وآل سلمان، عناية النّساء بالحديث، ص 38-39-97-98، وياسين محمد السوّاس، فهرس المدرسة العمرية، ص9، ومحمد مطيع الحافظ، جامع الحنابلة المظفري، ص 660، وأبي شامة المقدسي، = تراجم رجال القرنين، ص 180، وسنا البرق الشامي، اختصار الفتح، ص 113، ورجب محمد عبد الحليم، انتشار الإسلام بين المغول، ص 66-67-68، وعفاف عبد الرءوف، جهود المرأة في نشر الحديث، ص 245-247،

الملحق رقم (02)



د.حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي القاهرة ، ط1، 1407هـ /1987م ، ص 166.

الملحق رقم (03)



شوقي أبو خليل ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفكر دمشق سورية دط ، 2005 ، ص 43 .

الملحق رقم (04)



الحروب الصليبية - خريطة عدد (2)

مهد دينهم من التنجيس فلبّت الألوف تلك الدعوة التي رفعت باسم ربّ النصارى.

(تاريخ العرب - سيديو - ص 259 - ترجمة عادل زعيتر)

محمد العروسي المطوي ، المرجع السابق ، ص37.

الملحق رقم (05)

مظهر للمدرسة العمرية قبل الترميم ، فريدة شيخي ، المرجع السابق .

الملحق رقم (06)

مظهر لبقايا المدرسة العمرية بصالحية دمشق ، فريدة شيخي ، المرجع نفسه .

الملحق رقم (07)

جامع الحنابلة ، المرجع نفسه

الملحق رقم (08)

مخطط عام للصالحية بدمشق ، المرجع نفسه .

الملحق رقم (09)



قائمة

المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

1-القرآن الكريم

2-الحديث النبوي الشريف

أولا : المصادر

01- الأبادي محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود في شرح سنن أبي داوود، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، كتاب الجهاد باب ما جاء في الهجرة وسكنى البدو، ط 1، د ت، مجلد 1

02- إبن الجوزي محمد، مشيخة ابن الجوزي، تقديم وتحقيق محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، د ب، ط 2، 1980، ط 3، 2006م

03- إبن العماد الحنبلي شهاب الدين، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،تحقيق محمود الأرناءوط،دار ابن كثير دمشق بيروت، د ط، ج 7

04- إبن العمراني محمد بن علي بن محمد، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق و تقديم قاسم السامرائي،دار الأفاق العربية القاهرة، ط 1، 1419هـ/1999

05- إبن جبير، رحلة ابن جبير، دار صادر مركز ودود للمخطوطات بيروت، ط 2، دت.

06- إبن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد صنان، دائرة المعارف العثمانية صيدا أباد الهند، د ط،1392هـ/1972م

07- إبن حجر العسقلاني، المعجم المؤسس للمعجم المفهرس، تحقيق يوسف عبد الرحمان المرعشاي، دار

المعرفة بيروت لبنان، ط 1، 1413هـ/1992م، مج 1

08- إبن حوقل أبو القاسم النّصيبي، المسالك والممالك، د ب، د ط، 1872.

09- إبن خلدون عبد الرحمان، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر(المعروف بالمقدمة)، مراجعة سهيل زكّار، دار الفكر بيروت لبنان، د ط، 1431هـ-2001،ج 1

10- إبن شداد عز الدين، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجزيرة، تحقيق يحي زكرياء عبادة، منشورات وزارة الثقافة دمشق، د ط، 1991

11- إبن طولون شمس الدّين ، القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان ، مجمع اللغة العربية دمشق، د ط، د ت

12- إبن عساكر أبو القاسم، تاريخ دمشق، تحقيق روحيه النحاس وآخرون، دار الفكر، د ب، ط 1،1404هـ/1984م، ج 1

13- إبن كثير أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر،د ب، ط 1،1417هـ/1997م، ج 1

14- أبو البقاء عبد الله البدري، نزهة الأنام في محاسن الشّام، دار الرائد العربي بيروت لبنان، ط 1، 1400هـ-1980م

15- أبو شامة المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، تعليق إبراهيم شمس الدّين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط **1**، 1422هـ-2007م

16- أبو شهبة محمد بن محمد، أعلام المحدثين، دار الكتاب العربي مصر، د ط، دت

17- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الرّشيد الجزائر، دار الاعتصام القاهرة، كتاب الطبّ، رقم الحديث5730، د ط، د ت

18- أبي الحسن بن علي المسعودي، أخبار الزمان، دار الأندلس بيروت، ط 1، 1416هـ-1996م

19- أبي الحسن بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط 1، 1425هـ-2005، ج 2

20- أبي الفضل محمد بن الشحنة، الدرر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم عبد الله محمد درويش، د ب، د ط، 1404هـ-1984م

21- الألباني محمد ناصر الدّين، قاموس البدع، دار الامام البخاري الدّوحة قطر، ط 1، 1428هـ-2007م

22- ألشّامي سنا البرق، إختصار الفتح بن علّى البزّاري للعماد الكاتب الإصفهاني، تحقيق فتيحة البزّاوي،مكتبة الخابنجي بمصر، د ط،1979

23- الحلبي محمد راغب الطبّاخ، أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، دار القلم العربي حلب، ط 1، 1341هـ-1923م، ط 2، 1409هـ-1989م، ج 4

24- الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار صادر بيروت، د ط، 1397هـ-1977م، مجلد 1، مج 2، مج 3، مج 4، مج 5

25- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط

1، 1975، ط 2، 1984

26- الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق حسان عباس، مكتبة لبنان، ط 1، 1975، ط 2، 1984

27- الحنبلي أحمد بن محمد بن قدامه، الكافي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، د ب، ط 1، 1414هـ-1997م

28- الحنبلي محمد بن عبد الله، السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، مكتبة الإمام أحمد، د ب، د ط، د ت

29- خير الدّين الز ركلي،الأعلام قاموس التراجم، دار العلم للملايين بيروت لبنان، ط 7، 1413هـ-1995م، مج 5

30- الذهبي شمس الدّين، ذيل تاريخ الإسلام، اعتنى به مازن بن سالم بالوزير، دار المغنى للنّشر، د ب، د ط، د ت

31- الذهبي شمس الدّين، معجم شيوخ الذهبي، تحقيق وتعليق روحية عبد الرحمان السيوفي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1410هـ-1990م

32- زينب بنت الكمال المقدسية، الأحاديث الموافقات للعوالي، تحقيق الحافظ أبي محمد البرزالي وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1426هـ-2006

33- الشهرستاني محمد بن عبد الكريم، الملل والنّحل تحقيق أمير علي مهنا، دار المعرفة بيروت لبنان، ط 1،

1414هـ-1993م، مج 1

34- الضياء المقدسي، اختصاص القرآن بالعودة إلى الرحيم الرحمان، تحقيق عبد الله بن يوسف البديع، مكتبة الرشد السعودية، د ط، د ت

35- العراقي الحافظ ولي الدّين، الذيل على العبر في خبر من غبر، تحقيق صالح مهدي عبّاس، مؤسسة الرسالة، د ب، ط 1، 1409هـ-1989م

36- القز ويني زكريا محمد بن محمد محمود، أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر بيروت لبنان، د ط، د ت

37- كحّالة عمر رضا، أعلام، أعلام النّساء في عالمي العرب والإسلام، مؤسسة الرسالة بيروت، د ط، د ت، ج 1، ج 2، ج 3، ج 4

38- المقدسي حسن الدّين أبي عبد الله محمد، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر بيروت، ط2، 1906م

39- المنجد صلاح الدين، معجم المؤرخين الدمشقيين، دار الكتاب الجديد بيروت لبنان، ط 1، 1398هـ/1978م

40- النابلسي عبد الغني، الحقيقة والمجازفي رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دار المعرفة، دب، ط 1، 1410هـ/1999م

41- النعيمي عبد القادر، الدّارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 1، 1410هـ-

1990م، ج 1

42- النووي يحي بن شرف الدّين، الإيجاز في شرح سنن آبي داوود السجستاني،تقديم وتعليق وتخريج ابن الحسن آل سلمان، دار الأثرية عمّان الأردن، ط 1، 2007م

43- النيسابوري مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، مؤسسة زاد القاهرة، ط 1، 1433هـ/2012، رقم الحديث 824

ثانيا :المراجع

01- إبراهيم محمود، حطّين بين أخبار مؤرخيها وشعر معاصريها، دار البشير عمّان،ط 1، 1407هـ-1987م

02- إبراهيم محمود، فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة، معهد المخطوطات العربية، د ب، ط 1، 1406هـ-1985م

03- إبراهيم مقامي نبيلة، فرقة الرهبان والفرسان في بلاد الشّام في القرنين 12م-13م، مطبعة جامعة القاهرة، د ط، 1994م

04- أبو النصر محمد عبد العظيم، الأوقاف في بغداد في العصر العبّاسي الثاني، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ب، ط 1، د ت

05- أبو خليل شوقي ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، دار الفكر دمشق سورية دط ، 2005

06- آل سلمان عناية النّساء بالحديث النبوي الشريف، دار عفّان السعودية، ط 1، 1414هـ-1994م

07- ألاهي إحسان، ظهير الشيعة والتشيّع، دار السلام، د ب، ط 10، 1415هـ-1995م

08- أيوب إبراهيم، التاريخ العبّاسي السياسي والحضاري، دار الفكر العالمي بيروت لبنان، ط 1، 1989م

09- باشا عمر موسى، الأدب في بلاد الشّام عصور الزنكيين والأيوبيين والمماليك، المكتبة العبّاسية دمشق، ط 2، د ت

10- بدير عون فيصل، التصوف الإسلامي، مكتبة سعيد رأفت، د ب،د ط، د ت

11- بشير محمد عثمان، بيت المقدّس وما حوله خصائصه العامة وأحكامه الفقهية، مكتبة الفلاح الكويت، ط 1، 1407هـ-1987م

12- الحافظ محمد مطيع، جامع الحنابلة المظفري بصالحية قاسيون، دار الكتاب الجديد بيروت لبنان،ط 1، 1423هـ-2002م

13- الحثمي عبد المنعم، الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية، دار الرّشاد، د ب، ط1، 1413هـ-1993م

14- الحميري عبد الله، التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د ب، د ط، 1325هـ-2004م

15- حوراني ألبرت، تاريخ الشعوب العربية، ترجمة نبيل صلاح الدّين، الهيئة المصرية العامة' د ب، د ط، 1997م، ج1

16- الحويري محمود محمد، الأوضاع الحضارية في بلاد الشّام في القرنين 12م-13م، دار المعارف، د ب، د

ط، 1979م

17- دياب صابر محمد، المسلمون وجهادهم ضدّ الروم، مكتبة السلام العالمية، د ب، د ط، 1404هـ-1984م

18- ديفز-هـ-و، ترجمة عبد الحميد حمدي محمود، دار المعارف الإسكندرية، ط 1، 1911م

19- زيادة نقولا، دمشق في عصر المماليك، مؤسسة فر نكلين للطّباعة والنشر بيروت لبنان، نييورك، د ط، 1966م

20- الشّامي أحمد، صلاح الدّين والصليبيون تاريخ الدولة الأيوبية، مكتبة النهضة العربية القاهرة، ط 1، 1991م

21- الشّامي أحمد، صلاح الدّين والصليبيون، تاريخ الدّولة الأيوبية، مكتبة النهضة العربية القاهرة، ط 1، 1991م

22- الشهابي قتيبة، معجم دمشق التاريخي،وزارة الثقافة دمشق سوريا،د ط،1999م، ج 1

23- العبّادي مختار أحمد، في تاريخ الأيوبيين والمماليك،دار النهضة العربية، د ب، د ط، 1995م

24- عبد الرءوف الفقّي عصام الدّين، الدول المستقلّة في المشرق الإسلامي، دار الفكر العربي القاهرة، د ط، 1420هـ-1999م

25- عبد الفتّاح سعيد، تاريخ العصور الوسطى، دار النهضة العربية بيروت، د ط، 1976

26- عبد المنعم ماجد نور، الدولة الأيوبية تاريخ مصر الإسلامية السياسي، دار الفكر العربي، د ب، د

ط، 1418هـ-1997م

27- عبد الهادي جمال، الطريق إلى بيت المقدس، دار الوفاء للطباعة المنصورة، د ط، د ت

28- عطوان حسين، الجغرافية التاريخية لبلاد الشّام في العصر الأموي، دار الجيل بيروت لبنان، ط 1، 1407هـ-1987م

29- علي محمد كرد، خطط الشّام، مكتبة النّوري دمشق، ط 2، د ت، ج 4

30- عوض محمد مؤنس، الجغرافيون والرحّالة المسلمون لبلاد الشّام زمن الحروب الصليبية، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ب، ط 1، 1995م

31- قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د ب، ط 1، 1998م

32- كانتور نورمان —ف-، التاريخ الوسيط، ترجمة وتعليق قاسم عبده قاسم،عين للدّرسات والبحوث الإنسانية،د ب، ط 5، 1997،ج 1

33- كمال أحمد عادل، الطريق إلى دمشق، دار النفائس،د ب، ط 1، 1400هـ-1980م، ط 4، 1411هـ-1990م

34- محمد السوّاس ياسين، فهرس مجاميع المدرسة العمارية في دار الكتاب الظاهرية بدمشق، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الكويت، ط 1، 1408هـ-1987م

35- محمد حسين عبد المنعم، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، د ب، دط،دت

36- محمد عبد الحليم رجب، انتشار الإسلام بين المغول، دار النهضة العربية، د ب، د ط، د ت

37- محمد عطاء زبيدة، الشرق الإسلامي والدّولة البيزنطية، زمن الأيوبيين،دار الأمين، د ب، ط 2، 1414هـ-1994م

38- مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين بيروت، ط 1، 1978م،ط 3، 1983م

39- المطوي محمد لعروسي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، د ب، د ط، 1982م

40- منجد عبد المنعم، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، د ط، دار الفكر العربي، د ب، 1418هـ- 1997

41- المهاجر جعفر، التأسيس لتاريخ الشّيعة في لبنان وسوريا، دار الملاك، د ب، ط1، 1413هـ-1992م

42- مؤنس حسين ، أطلس تاريخ الإسلام ، الزهراء للإعلام العربي القاهرة ، ط1، 1407هـ /1987م

43- ناصر الحجّي حياة، صور من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، دار القلم، د ب، ط 1، 1412هـ-1992م

44- النقّاش زكي، الحروب الصليبية وما نتج عنها من علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية بين العرب والإفرنج، د ب،د ط، 1366هـ-1946م

45- يوشع براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين ومملكة بيت المقدس اللاتينية، عين للدّراسات والبحوث الإنسانية، د ب، ط 1، 2001م

3-**المجلاّت** :

01- عبد الرحيم رائد، ألفاظ مغولية في أدب العصر المملوكي «668هـ-703هـ» قسم اللغة العربية، كلية الآداب، نابلس فلسطين، 2008، مجلة جامعة الأبحاث للنّجاح مجلد 22

02- عبد الغفور عفاف، جهود المرأة في نشر الحديث وعلومه، مجلة أمّ القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية، 1428، العدد 42، ج 19

03 مصطاف ثامر نعمان، دور المرأة في الحياة العامة في عصر المماليك البحرية647هـ-784هـ/1250-1382م، مجلة واسط للعلوم الإنسانية ، العدد 23

4-المذكرات :

01- شاهين أيمن سعيد، المدارس الإسلامية في مصر العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، دكتوراه فلسفة في الأدب شعبة التاريخ الإسلامي، إشراف احمد عبد الحميد لخفاجي، جامعة طنطا، 1420هـ-1999م .

02- شيخي فريدة، مساهمة أسرة المقادسة في الحياة العلمية بدمشق خلال القرنين 6هـ-8هـ/12إشراف عبد العزيز شهبي، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط الجزائر، 1431هـ-2010م .

03- علاّل خالد كبير، الحركة العلمية الحنبلية وأثرها في المشرق الإسلامي خلال القرنين 6هـ-7هـ/12م-13م،دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر ، 2003 .

04- محمد علي ناصر، الحياة العلمية في دمشق في العصر الأيوبي، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم

الفـــهـــرس

الفهرس

شكر و عرفان

الإهداء

قائمة المختصرات

مقدمـــــــــــة .....أ

تمهيد الأوضاع العامة لبلاد الشّام خلال النصف الثاني من القرن السادس هجري (550هـ-599هـ/1155م-1202م) 7

1):**الأوضاع السياسية والدينية.** 8

أ- **سياسيا** 8

ب- دينيًا 11

2)- الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية 13

أ -اجتماعيا 13

ب)- اقتصاديًا 15

1-الزراعة.....15

2-الصناعة.....16

3-التجارة 16

3– الجانب العلمي.....17

المبحث الأول: التعريف بإقليم الشّام خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي....23

1–المطلب الأول: الموقع الجغرافي.....24

2–المطلب الثاني: أصل التسمية.....29

3–المطلب الثالث: الخريطة السياسية لبلاد الشّام خلال القرن7ه /13م 32

المبحث الثاني: الإسهامات العلمية للمرأة في بلاد الشّام خلال القرن 7ه / 13م.....38

1–المطلب الأول: أشهر عالمات بلاد الشّام خلال القرن 7ه /13م.....39

2– المطلب الثاني: الدور العلمي للمرأة الشّامية 43

أ)–التدريس وحلقات العلم 43

ب)– بناء المراكز العلمية 47

1–**بناء المدارس**.....48

2– المساجد والجوامع 51

3 – الأربطة والخوانق 52

3 – المؤلفات والآثار الفكرية 54

المبحث الثالث: مظاهر التأثير العلمي للمرأة في بلاد الشّام خلال القرن 7ه /13م 57

1–المطلب الأول :الجانب السياسي 58

2–المطلب الثاني: الجانب الاقتصادي والاجتماعي.....62

أ) الجانب الاقتصادي.....62

ب) الجانب الاجتماعي 64

3-المطلب الثالث: الجانب العلمي 67

خاتمـــــــــــــة 73

المـــلاحـق 75

قائمة المصادر و المراجع 91

قائمة المصادر و المراجع 91

الفهرس.....103